لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

مجلة فصلية محكمة تصدر عن كلية الآداب/ جامعة واسط

المجلد الثامن عشر العدد الثالث الجزء الثاني

المؤتمر العلمي السنوي العاشر(الدراسات الانسانية وافاق التحول الرقمي)

1/تموز /٢٠٢٦ م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٣٤٣ لسنة ٢٠٠٩م

P-ISSN:1999-5601

E-ISSN:2663-5836

This work is licensed under a Creative Commons Attribution License (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) that allows others to sh adapt the material for any purpose (even commercially), in any medium with an acknowledgement of the work's authorship and initial public this journal.

	منطقة المشروع والمناطق المتأثرة: دراسة تحليلية مكانيّة	محافظة واسط	
٦١	استخدام الذكاء الاصطناعي لتعزيز التصحيح الذاتي في تعلم اللغة الإنجليزية	م.م ثامر ايوب عيسى	٦٦٩-٦٥٩
٦٢	كتاب (فتوح البلدان) للبلاذري (ت: ٢٧٩ هـ) مصدراً لدراسة النقود العربية الإسلامية	م.م نغم حميد رشيد عبد النبي الطائي/ جامعة واسط /كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة آ. م. محمد جاسم علوان	٦٧٨-٦٧٠
٦٣	المزج التصوري في أدعية مختارة للإمام السجاد: تحليل معرفي أسلوبي	م.م سرى صبري بريسم،كلية التربية للعلوم الانسانية /قسم اللغة الانلكليزية/ جامعة واسط ا.د فداء محسن المولى، كلية الاداب /قسم الترجمة / جامعة واسط	٦٨٩-٦٧٩
٦٤	الكلمات الرقمية الإنكليزية المستعارة في اللهجة الموصلية العربية: التكيف الصوتي	م.م سندس فلاح محمد/ الجامعة التقنية الشمالية	
٦٥	الوعي في تدريس اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية	م.م مروان رمضان عبد الله/الكلية التربوية المفتوحة – مركز نينوى الدراسي	٧٠٤-٦٩٨
٦٦	**The Effect of Communicative Activities on Reducing Speaking Anxiety among Iraqi Secondary School Students:Group Work and Role-Play as Instructional Strategies**	**Salim Abdul Abbas Muttair (Asst. Lect.) Wasit Directorate of Education**	٧١٦-٧٠٥
٦٧	لتمكين الاجتماعي للمرأة العراقية في العالم الافتراضي: بحث تحليلي في علم اجتماع المرأة	م. م نبأ سعيد راضي عبيد العزاوي/ كلية الآداب، جامعة واسط	٧٢٨-٧١٧
٦٨	إدارة الموارد البشرية الرقمية والتحول من الإدارة التقليدية إلى الإدارة الذكية	م.م صفوان عبد الكريم عبد الباقي/المديرية العامة لتربية صلاح الدين - قسم تربية الضلوعية	٧٤٢-٧٢٩
٦٩	التغير والثبوت في منظور دي سوسير	م. م. ضياء مجيد كامل/ المديرية العامة لتربية محافظة واسط	٧٥٠-٧٤٣
٧٠	الأصول المندائية-البابلية للفكر الغنوصي	م.م سنان الجادر، رجل دين وباحث في التاريخ والدين المندائي - مدرّس مساعد سابقاً الجامعة المستنصريّة، بغداد	٧٨١-٧٥١
٧١	استكشاف استراتيجيات تحفيزية فعّالة لتعزيز تعلم اللغة الإنجليزية في المدارس الثانوية العراقية	م.م مروة علي عبدالحسين، المديرية العامة لتربية واسط	٧٩٠-٧٨٢
٧٢	التحقيق بين النص والهوامش : دور التعليقات والحواشي في إعادة بناء النص التراثي	م.م نسرين خضير جبارة/جامعة واسط كلية التربية للعلوم الإنسانية	٨٠٠-٧٩١
٧٣	البناء السردي السيرغيري في تراجم فوات الوفيات	الباحثة: مريم خليل عباس/جامعة القادسية/كلية التربية/قسم اللغة العربية أ.د. شيماء خيري فاهم/جامعة القادسية/كلية التربية/قسم اللغة العربية	٨١٠-٨٠١
٧٤	إثر السياسات التحريرية على محررين الاخبار في القنوات الفضائية العراقية في ظل الفضاء الرقمي	م.م مغيث سعد علوان الخفاجي/جامعة ذي قار كلية الاعلام-قسم الإذاعة والتلفزيون	٨٢٣-٨١١
٧٥	إخفاق العدالة الأيديولوجي في المحاكمات الأدبية: "الآخر الكبير" عند جيجيك في رواية "أن تقتل طائراً محاكياً" لهاربر لي	م.م إيلاف ثامر سعدون/ جامعة الإمام جعفر الصادق / فرع ذي قار م.م فكري بادي زغير	٨٣٣-٨٢٤
٧٦	الفيلسوف والمجتمع في الفكر اليوناني .	م م حسن ماهر غشيم وني /كلية الآداب جامعة واسط .	٨٤٣-٨٣٤
٧٧	الفيلسوف والمجتمع في الفكر اليوناني	م.م. ميادة مظهر عباس/ وزارة التربية/ مديرية تربية الكرخ الثانية	٨٥٧-٨٤٤
٧٨	صورة المرأة في الشعر الاندلسي " ابو حيَّان الاندلسي أنموذجاً"	م.م. رنا حسن علي/المكتبة المركزية – جامعة واسط	٨٧٠-٨٥٨
٧٩	إشكالية التأسيس الأخلاقي للفكر الإسلامي المعاصر: دراسة في مشروع الحداثة البديلة عند طه عبد الرحمن	م. م زمن حسن خفيف/ جامعة واسط/ كلية الآداب/ قسم الفلسفة	٨٨٢-٨٧١
٨٠	ألفاظ الزمن في القرآن الكريم بين المعجميين والمفسرين	م.م رنا عبد الله عبد الكاظم/جامعة واسط/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية	٨٩٥-٨٨٣
٨١	" حقوق الإنسان بين الحرية والإرادة العامة قراءة فلسفية في فكر جان جاك روسو "	م.م منال صالح مهدي عبيد/ كلية الآداب، جامعة واسط	٩٠١-٨٩٦

Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences

Journal homepage: https://lark.uowasit.edu.iq

Vol. 18 No. 3 Jul , pp.1-- 1319

https://doi.org/10.3١١٨٥/lark.5754

E-ISSN 2663-5836
P-ISSN 1999-5601
Original Research

Received May3, 2026 Revised May21, 202٦ Accepted Jun.2, 2026 Online Jul.1, 2026

nder the patronage of the Minister of Higher Education and Scientific Research, Dr. Halo Al-Askari, and under the supervision of the President of the University of Wasit, Prof. Dr. Abbas Lufta Al-Aqabi, and chaired by the Dean of the College of Arts, Prof. Dr. Saad Dahis Nasser Al-Hasani, the College of Arts held its 10th International Scientific Conference under the theme "Human Studies and the Horizons of Digital Transformation," in collaboration with Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Human Sciences. The conference featured a blended scientific participation combining both in-person and online attendance, with notable engagement from researchers inside and outside Iraq, including 150 scientific papers from across Iraq and abroad, reflecting the scale of academic interaction and the breadth of international participation.

The conference aimed to establish a systematic academic framework for studying digital transformation in the humanities, outlining its epistemological foundations and applied approaches in fields such as applied philosophy, translation, social sciences, literature, languages, media, and public relations, thereby contributing to the development of scientific research and enhancing cognitive integration in line with the requirements of digital transformation in human studies. It also discussed mechanisms for employing modern technologies to advance scientific research, strengthen the integration of human knowledge and technology to meet contemporary demands, support scientific research, and expand the horizons of academic cooperation.

Keywords: digitization, humanities, technology.

المؤتمر العلمي السنوي العاشر(الدراسات الانسانية وافاق التحول الرقمي)

عاية معالي وزير التعليم العالي والبحث العلمي الدكتور هلو العسكري، وبإشراف رئيس جامعة واسط الأستاذ الدكتور عباس لفتة العقابيّ، وبرئاسة عميد كلية الآداب الأستاذ الدكتور سعد داحس ناصر الحسنيّ، عقدت كلية الآداب مؤتمرها العلمي الدولي العاشر تحت شعار (الدراسات الإنسانية وآفاق التحول الرقمي)، بالتعاون مع مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الإنسانية، تضمن المؤتمر مشاركة علمية مدمجة جمعت بين الحضورين الواقعي والإلكتروني، وتفاعلاً لافتاً من الباحثين داخل العراق وخارجه، بمشاركة (١٥٠) بحثًا علميًا من داخل أنحاء العراق وخارجه، ما يعكس حجم التفاعل الأكاديمي واتساع دائرة المشاركة الدولية.

هدف المؤتمر إلى بلورة اطار أكاديمي منهجي الدراسة التحول الرقمي في العلوم الإنسانية وبيان أسسه المعرفية ومقارباته التطبيقية في مجالات الفلسفة التطبيقية، والترجمة والعلوم الاجتماعية، والآداب واللغات والإعلام والعلاقات العامة، بما يسهم في تطوير البحث العلمي وتعزيز التكامل المعرفي وفق متطلبات التحول الرقمي في الدراسات الإنسانية، ومناقشة آليات توظيف التقنيات الحديثة في تطوير البحث العلمي، فضلاً عن تعزيز التكامل بين المعرفة الإنسانية والتكنولوجيا بما يواكب متطلبات العصر لدعم البحث العلمي وتوسيع آفاق التعاون الأكاديمي.

كلمات مفتاحية: الرقمنة، العلوم الانسانية، التكنولوجيا

This work is licensed under a Creative Commons Attribution License (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) that allows others to sh adapt the material for any purpose (even commercially), in any medium with an acknowledgement of the work's authorship and initial public this journal.

The Mandaean-Babylonian Origin of Gnostic Thoughts

Sinan Al-Jader
Clergyman and researcher in Mandaean history and religion - former assistant lecturer at Al-Mustansiriya University, Baghdad.

Abstract

Gnosticism constitutes a system of religious movements that intersect in a set of philosophical tenets, most prominently the belief in the existence of a divine savior who undertakes the guidance of souls along their path of ascent toward the higher realms. Gnostic traditions encompass Mandaeism, early Christian sects, Manichaeism, as well as some Jewish movements recently brought to light. While a number of Orientalists have posited that Gnosticism emerged after Christianity, a deeper examination of Gnostic thought reveals its roots extending to the ancient Mesopotamian heritage, particularly Sumerian religion and its derivatives among the Babylonians and Assyrians, culminating in its continuity within Mandaean philosophy, which represents a direct extension of that legacy.

According to Orientalists, Gnostic religions are characterized by several features, including the belief in two divine powers governing the cosmos, faith in Jesus Christ as a savior, alongside the adoption of ascetic patterns and rigorous rituals associated with self denial such as abstinence from marriage and procreation, as well as forms of liberation in relationships outside the marital framework.

This study proceeds from an analysis of Gnosticism in light of the Mandaean texts themselves, aiming to ascertain whether Mandaeism derived its elements from other Gnostic religions, as Orientalists contend, or whether the converse is closer to reality.

Studies in Gnostic philosophy hold profound importance for all contemporary Christian denominations, including the politico religious institutions dominant in Western states, as they enable an exploration of the foundations and origins of Christian texts. For this reason, numerous works have emerged that distort or were deliberately inserted to preserve the prevailing narrative portraying Christian philosophy as derivative of Jewish texts, while excluding and marginalizing Mesopotamian philosophies including Mandaeism from any potential connection to the genesis of Christian philosophical thought.

Keywords

Gnosticism, the Savior, Redeemer, Tammuz, Dumuzi, Mandaeans, Sabians, Nasoraeans, Ginza Rba, Mesopotamia, Iraq, Babylon, Early Christian Sects, Manichaeism, the Dead Sea Scrolls.

الأصول المندائية-البابلية للفكر الغنوصي

سنان الجادر
رجل دين وباحث في التاريخ والدين المندائي - مدرّس مساعد سابقاً الجامعة المستنصريّة, بغداد.

المقدّمة

الغنوصيّة هي منظومة من الحركات الدينيّة التي تتقاطع في جملة من المرتكزات الفلسفيّة، أبرزها الإيمان بوجود مخلّص ذي طبيعة إلهيّة يتولّى إرشاد الأرواح في مسار عروجها نحو العوالم العليا. وتشمل التقاليد الغنوصيّة كلاً من المندائيّة، والطوائف المسيحيّة المبكّرة، والمانويّة، إضافة إلى بعض الحركات اليهوديّة المعلن عنها حديثاً. وقد افترض عدد من المستشرقين بأنّ الغنوصيّة ظهرت بعد المسيحيّة، غير أنّ التعمّق في دراسة الفكر الغنوصي يكشف عن امتداد جذوره إلى الموروث الرافديني القديم، ولا سيما الديانة السومريّة وما تفرّع عنها لدى البابليين والآشوريين، وصولاً إلى استمرارها في الفلسفة المندائيّة التي تُعدّ امتداداً مباشراً لذلك الإرث.

وحسب المستشرقين فتتسم الأديان الغنوصيّة بجملة من الخصائص، من بينها الاعتقاد بوجود قوّتين إلهيّتين تدبّران الكون، الإيمان بيسوع المسيح كمخلّص، إضافة إلى تبنّي أنماط من الرهبنة والطقوس الصارمة المرتبطة بإنكار الذات، مثل الامتناع عن الزواج والإنجاب، إلى جانب أشكال من التحرّر في العلاقات خارج الإطار الزوجي.

وينطلق هذا البحث من تحليل الغنوصيّة في ضوء النصوص المندائيّة نفسها، بهدف تقصّي ما إذا كانت المندائيّة قد استمدّت عناصرها من الديانات الغنوصيّة الأخرى كما يرى المستشرقون، أم أنّ العكس هو الأقرب إلى الواقع.
تُعدّ الدراسات في الفلسفة الغنوصية ذات أهمية بالغة لجميع الطوائف المسيحية المعاصرة، بما في ذلك المؤسسات السياسية- الدينية المهيمنة على الدول الغربية، وذلك لاستكشافها أسس وأصول النصوص المسيحية. ولهذا السبب، ظهرت العديد من الأعمال التي حرّفت أو أُقحمت عمدًا للحفاظ على السردية السائدة التي تُصوّر الفلسفة المسيحية تابعة للنصوص اليهودية، مع استبعاد وتهميش الفلسفات الرافدينيّة، بما فيها المندائية، عن أي صلة محتملة بنشأة الفكر الفلسفي المسيحي.

الكلمات المفتاحيّة

الغنوصيّة، المخلّص، تمّوز، دوموزي، المندائيون، الصابئة، الناصورائيون، الكنزا ربا، بلاد الرافدين، العراق, بابل, الطوائف المسيحيّة المبكّرة، المانويّة، مخطوطات البحر الميت.

الغنوصيّة

لقد تمّ استخدام مصطلح الغنوصيّة من قبل المستشرقين تحديداً, للإشارة إلى الفلسفة العرفانية التي حملتها مجموعة من الأديان. وهي المندائيّة والفِرق المسيحيّة البدائية والمانويّة, وكذلك بعض الحركات اليهودية التي عُرفت مؤخراً من خلال ذكرها في مخطوطات (قمران / البحر الميت) التي أعلنت إسرائيل عن اكتشافها عام 1947.

ومن دراسة البحوث التي تمّ انتشارها عالميّاً عن الدين المندائي, فنعرف بأن مُعظم المستشرقين الذين كتبوا عن المندائيّة كانوا من المُنتمين للمنظمات الدينيّة الأخرى وبالتحديد من اتباع الفكر الصهيوني. ومنهم على سبيل المثال: ليدزبارسكي اليهودي الألماني الذي كان من مؤسسي المسيحيّة الإنجيليّة الصهيونيّة التي تكون أهدافها السيطرة على السياسة العالمية لتحقيق نبوءات العهد القديم, وكورت رودولف اليهودي الألماني, وماكوخ السلوفاكي مبعوث الكنيسة اللوثريّة ,ودراور البريطانيّة أبنة القَس المسيحي وحيث أنّ أكثر كتب دراور عن المندائيين شهرة وهو كتاب الصابئة المندائيون في العراق وإيران وهذا الكتاب تقوم هي بإهدائه إلى الدكتور موسس غاستر (Dr Moses Gaster) وهو مؤسس الحركة الصهيونيّة العالميّة. ومن هذا فنعرف من أين كان تمويل كتابها ومن هو الذي أعطاها المهمة التي سارت عليها خلال عشرات السنين من أهتمامها بالفلسفة والمجتمع المندائي. وأنّ الباحثين الأربعة السابقين كانوا هم الذين وضعوا نظرية الأصل الغربي (اليهودي) للمندائيين. كما ويوجد مستشرقون آخرون غير هؤلاء بحثوا في الغنوصيّة ولكن اهتماماتهم كانت تندرج ضمن نفس الفئة إلا ما ندر. ومع ذلك فقد كانت هنالك بعض الجوانب الإيجابيّة من بحوث هؤلاء المستشرقين عبر جلب الاهتمام العالمي بتاريخ وفلسفة الصابئة المندائيين, بعد أكثر من أربعة قرون من القمع والاضطهاد والتجهيل الذي مارسه المحتل العثماني بحق بلاد الرافدين وشعبها.

ويقول فراس السواح في أحد لقاءاته "أنّ أكثر الدراسات التي تمّت عن الغنوصية تمت على أيدي باحثين معادين لها، أي من قبل خصومها. وبأن اليهود ليس لهم مصلحة في دراسة العقيدة الغنوصية لأن الغنوصية تقف على طرف نقيض مع الفكر اليهودي. فالغنوصية معتقد خلاص وكل مفاهيمها وتصوراتها الكونية تتلخص في مفهوم واحد عن التحرر والانعتاق. ولكن الخلاص الغنوصي لن يتأتى عن طريق العبادات الشكلية والطقوس إذا لم تترافق مع المعرفة وتكون مقدمة له. فعلى العكس من بقية النظم الدينية التي تبشر ببعث أجساد الموتى في اليوم الأخير، فإن البعث الذي تبشر به الغنوصية هو بعث الأرواح، إنه خلاص من الجسد ومن العالم في آن واحد"

(السواح، 2009)

وقد كان كثير من المستشرقين ينطلق نحو دراسة المندائيّة بسبب التشابه مع لغتهم العبريّة الأم, ولكون غالبيتهم من اليهود أو المسيحيين الصهاينة. ولكنهم جميعاً كانوا ينظرون إلى الدين المندائي طبقاً لقناعاتهم الدينيّة الخاصّة وللرسالة التي يحملونها من حيث أعطاء الأهميّة بأن لا تؤثر تلك البحوث على الرواية الصهيونيّة الدينيّة وسطوتها السياسيّة. ولهذا فكانوا يجعلون الفلسفة المندائيّة أمّا تابعة لليهوديّة أو للمسيحيّة. ولا يُمكن أن يعطوها التفرّد أو الأسبقيّة, ولأن ذلك سوف يعني بأن المسيحيّة التي لديها تشابه مع المندائيّة في بعض التعاليم والطقوس, قد أتت بعد المندائيّة وليس قبلها وأنها كانت قد انبثقت من الفلسفة المندائيّة وليس اليهوديّة. وهذا سوف يكون غير مقبولاً من ناحية سياسيّة بسبب كون الدين المسيحي هو الرابط السياسي للمنظمات الدينيّة وللقيادات والعوائل الاوليغارشيّة ذات النفوذ والمتحكّمة بالدول الغربيّة. ولهذا فقد اجتهد هؤلاء الباحثون لوضع الدين المندائي ضمن أطار محدد وهو: إمّا أن يكون من الفرق الغنوصيّة المُنشقّة عن اليهوديّة أو أن يكون مُنشقّاً عن الفرق المسيحيّة أو فيما بينهما.

وهذا كان حال المستشرقين خلال فترة القرن العشرين؛ وأمّا في زمننا الحالي فأن الغالبيّة العظمى من المستشرقين هم من الصهاينة وبعضهم يتبنى تحريفاً رخيصاً للبحوث والترجمات ومن دون أية أمانة علمية. كما في البحث المرفق الذي قمت بنشره حول باحثين كلاهما بدرجة بروفسور في جامعات أمريكيّة وقد قاما بتحريف كبير وفاضح لترجمة أحد الكتب الدينيّة المندائيّة وهو كتاب دراشا اد ملكي أو حديث الملائكة. فاختلقوا كلمات غير موجودة في النصوص الأصليّة وحذفوا أو غيروا كل ما لم يعجبهم من النصوص.

(Al-Jader, 2023)

وفي حين أن مُعظم الجامعات الغربيّة تتبع الرواية الرسمية حول تبعيّة الفلسفة المندائيّة للطوائف الغنوصيّة في بدايات المسيحيّة, وذلك لأن تعريفهم للغنوصيّة يشمل فقط الديانات التي تنضوي تحت خيمة المسيحيّة.

(سباهي, 1996: 167)

ولكن هناك قلّة من الباحثين المُحايدين القدامى في تلك الجامعات نفسها, كانوا يَدحضون فكرة أنّ الغنوصيّة قد أتت بعد المسيحيّة وإنما يُشددون على كونها قبل المسيحيّة. ومن هؤلاء هو البروفسور ياموجي الأميركي الياباني الأصل. حيث بيّن بأن العهد الجديد لم تكن له نصوص غنوصيّة قبل المسيحيّة وإنما كانت قد أضيفت فجأة.

وكان ياموجي قد رَفض فكرة كون المندائيين مهاجرين من فلسطين لبلاد الرافدين والتي كان يدّعي بها أصحاب النظريّة الغربية (الأصول اليهوديّة) لمنشأ الدين المندائي. ويقول بأن التشديد المندائي على النقاء الجنسي وعلى الطقوس يعطي المندائيين انفرادية عن جميع الأقوام الغنوصية التي ليس فيها هذا الشيء, وأن الأخلاق المذكورة في التعاليم المندائية تعود إلى حُقب بدائية. ولكنه يعتقد أيضاً بكون المندائية فيها عناصر غربية وشرقية وإن كانت قد نمت في بلاد الرافدين, وهذا لأنه كان يعتقد بأن مفهوم الغنوصيّة هو مفهوم غربي وليس شرقي, بينما تكون الأخلاق العاليّة والتشديد على الطهارة الجنسيّة هي من المفاهيم الشرقيّة والتي لم تكن موجودة لدى الطوائف الغنوصيّة الأخرى.

(Yamauchi, 1983: 140)

وكذلك كان البروفسور السويدي سيف سودربيرغ قد كتب عن أسبقية الفلسفة المندائيّة على الغنوصيّة المانويّة. ورفض فكرة النظريّة الغربية للأصل المندائي, والتي تعني بأنهم منشقون عن اليهوديّة ومهاجرون من فلسطين.

(Säve-Söderbergh, 1949: 2, 166)

وهنالك باحث آخر كان قد ناقش موضوع الغنوصيّة بالتفصيل هو الألماني رودولف بولتمان

(Rudolf Bultmann (1884-1976 والذي كان مقتنعاً بأن الغنوصية هي قبل المسيحية وبأنها كانت حركة دينية أتت من الشرق وغَزت الغرب.

أنّ أهم مميزات الغنوصيّة هي فكرة وجود المُخلّص والتي هي الرابط الموجود في جميع تلك الديانات. فكان بولتمان قد دَرسها بصورة دقيقة واستعان بأبحاث علماء تاريخ الأديان ومن ثم نشر النتائج في بحث مفصّل عام 1925. وهو كان مُقتنعاً بقوّة بأن المندائيين هم من مجموعة أتباع النبي يحيى أو يحيى الصابغ, ويقول: "أن النصوص المندائيّة تمثّل أنقى شكل من أشكال النصوص الغنوصيّة الشرقيّة المبكّرة الخاصّة بالمخلّص".

(Yamauchi, 1983: 25)

أمّا الخطوط العريضة لفكرة المخلّص الغنوصي حسب بولتمان فهي بصورة ملخّصة كما يلي:

"في الدراما الكونية يسقط الإنسان البدائي السماوي أو الإنسان النوراني الأول وتمزّقه القوى الشيطانية, ثم تتجسد أجزائه أو قواه في شكل شرارات من الضوء في الروح البشرية, وتحاول الشياطين تخدير الإنسان بالنوم والنسيان لكي يَنسى أصله الإلهي. وبعد ذلك يُرسل الإله المُتعالي كائناً آخر من النور الذي هو المخلّص الذي سيرتدي الجَسَد الأرضي ليخدع الشياطين, حيث يتم إرسال المخلّص لأيقاظ الروحانيين المُتلهفين إلى حقيقة أصولهم السماوية ويَمنحهم المعرفة لتكون بمثابة كلمات مرور تساعدهم في عودتهم لأصولهم السماوية, وبعد ذلك يصعد المخلّص ويَهزم القوى الشيطانية ويفتح الطريق للأرواح. ومن صعود الأرواح يتحقق الفداء الكوني بإعادة تجميع أجزاء الإنسان الأول".

(Yamauchi, 1983: 29-30)

وفي كتابه الآخر المسيحيّة البدائيّة الذي أصدره عام 1956, Primitive Christianity in its Contemporary Setting قام بولتمان بتفكيك العناصر المكوّنة لكتاب العهد الجديد, وبيّن بأن الإشارات والمقاطع الخاصة بالأساطير الموجودة فيه تدل على عمليات أعادة كتابة له تمّت من قبل المسيحيين الأوائل. وبأنهم قاموا بحذف تلك المكونات والتي هي موجودة في الغنوصيّة المندائيّة, لأنها لم تكن تخدم أهدافهم, وأبقوا فقط على عناصر الغنوصيّة المتوافقة مع الخلاص الذي أتى به المسيح.

(Corwin, 1960: 128)

وهذا بأن مزامير العهد القديم لم تكن تحتوي على تلك العوامل المكوّنة للغنوصيّة مثل الروايات البطولية التي يعتبرها الباحثون ضمن الأساطير, ولكنهم استخدموا روايات أوغاريتيّه دون أي تفكير في جوهر الوحي.

(Yamauchi, 1983: 186)

وهنالك موضوع آخر أستخدمه الباحثون التوراتيون والمختصون بالعهد الجديد, وهو بأنهم دائماً كانوا يفترضون بأن الخصائص الغنوصيّة يجب أن تأتي معاً. ولهذا فكلما أتت أحدى تلك الخصائص في نصوص الأديان الأخرى فكانوا يفترضون وجود الخصائص الأخرى بنفس الوقت.

(Neill, 1964: 177)

وبهذا فهم يرفضون فكرة التطوّر الحاصل على المفاهيم الغنوصيّة عبر الأزمان, وبنفس الوقت فهذا يجعلهم يضعونها في أزمان أحدث من المسيحيّة. وتلك الخصائص الغنوصيّة التي كانوا يبحثون عنها في النصوص الدينيّة هي: ازدواجية العبادة لله مع المادّة, والاعتراف بألوهيّة المسيح وبكونه المُخلّص الذي لبس الجَسَد الأرضي متنكراً, والأصل الفضائي للروح, وتحديد الرغبات والغرائز البشريّة عبر الطقوس مثل الصيام وعدم الزواج وعدم الإنجاب, والتحرر الجنسي, وبعض الصفات الأخرى.

الأصل الرافديني للفلسفة الغنوصيّة

تمثّل الفلسفة الغنوصيّة مجموعة من الأفكار والتصوّرات التي تتعلّق بالحياة بعد الموت. وأنّ البحث في أصل تلك الأفكار ضمن الفلسفات الدينيّة القديمة يستند إلى اللغة والتعبيرات المستخدمة في النصوص, حيث أنّ الفكرة الرئيسية هي التي تشكل اللغة الدينية الثابتة والتي تعبر عن مفاهيم الخلاص، وهذا يشمل مجيء المخلّص ودعوته للأرواح ومن ثمّ استجابة الأرواح له ومحاولتها الصعود إلى موطنها الأصلي.

إن فكرة الخلاص ومفهوم المُخلّص, كانت موجودة في بلاد الرافدين لآلاف السنين قبل الأديان الحاليّة جميعها. ويعود تاريخها إلى عصور الحضارات الرافدينيّة الأولى التي تتحدث عن دراما تمّوز، وتلك الأفكار القديمة هي التي يُشار إليها بالمرحلة ما قبل الغنوصية أو بالغنوصية المبكّرة. وتعود للفترات عندما كان المَلك يمثّل دور الإله الشاب تمّوز. وهناك تفسير لتمّوز وُجد في أواخر العصر البابلي يعتبره ممثلاً للإنسانية. وبالتالي فإن تمّوز هو مخلّص يرمز إلى كل البشر. ويسلط هذا التفسير الضوء على الجذور القديمة لبعض المفاهيم الدينية التي تمّ اقتباسها من فلسفات بلاد الرافدين, ومن ثمّ استمرّت وتطوّرت لاحقًا في أنظمة عقائدية مختلفة في المنطقة والعالم عبر الزمن.

(Widengren, 1946: 177-178)

ولكن لا يحاول المستشرقون الاعتراف بالأصول السومريّة والبابليّة للغنوصيّة واستمرارها ضمن الديانات التي أتت بعدها, وإنما هم ينسبون تلك الفلسفة لبدايات المسيحيّة ولهذا فيحاولون أرجاع أية أفكار تتعلّق بالغنوصيّة إليها.

ويعود أصل تسمية الغنوصيّة إلى عهد الإسكندر في نهايات القرن الرابع ق.م عقب دخوله لبابل, حيث تعرّف المحتلون اليونانيون على فلسفات بلاد الرافدين الدينيّة ومنها الناصورائيّة. واستمرّت تلك المعرفة خلال الاحتلال السلوقي لمملكة ميسان, وقد فهموا بأن لديهم طقوساً وتعاليم للإحساس بالإلهام الإلهي. ولهذا فأطلقوا عليهم تسمية الغنوصيون وتعني العارفون بالله, ولكن تمّ تبني التسمية خلال القرن التاسع عشر الميلادي من قبل المنظمات الدينيّة الصهيونية.

أنّ المُحاولات الحثيثة من قبل المستشرقين لتسمية المندائيين بالطائفة الغنوصية بدل تسميتهم الأصليّة, هي لغرض جَمعهم مع الفِرق المسيحية في بدايات الميلاد أو مع المانويّة أو حتى مع الأقوام اليهوديّة من مخطوطات البحر الميت؛ وليس لأنهم يعترفون بالعِرفان الناصورائي. وعندما يَستخدم المُستشرقون تعبير الغنوصيون للدلالة على المندائيين, فهم يقصدون منها بأنها فلسفة منشقّة وليست أصيلة, بينما تَعتبر مؤسساتهم الدينيّة تسمية الغنوصيون بمعنى الضّالين الذين لم يهتدوا للمسيحيّة الصحيحة.

وحيث أنّ المكتشفات الآثاريّة يمكن أن تساهم في أعطاء الأدلّة عن الفلسفات والحضارات والأديان وعن عمقها التاريخي. فكان يمكن مقارنة تاريخ الآثار المندائيّة مع الآثار المسيحيّة لتحديد الأقدم. ولكن في حالة المندائيّة فأن البحوث الآثاريّة غير مكتملة بسبب عدم وجود تنقيبات مخصصّة لذلك أصلاً, وأن المكتشفات المندائيّة القديمة جميعها كانت قد تمّت من قبل المنظمات الدينيّة الغربيّة. وبالتالي فغالبيتها محفوظة في مخازنهم. وبسبب عدم الحياديّة فلا يعوّل كثيراً على مصداقية النتائج التي أرفقوها لقلة من تلك المكتشفات التي كشفوا عنها من ناحية القِدم. كما ويجب أن ننوّه بأنّ الآثار المندائيّة المكتشفة لم تخضع لعمليات الفحص المختبري لتحديد أعمارها, وربما كان ذلك عن قصد لكي يتمكنوا من إعطائها تواريخ بناءً على التخمين. فيرجعونها جميعها للفترات ما بعد المسيحيّة ابتداءً من القرن الثاني الميلادي. وقد تطرقت لبعض تلك الآثار في بحث سابق.

ولعلاقتها بالموضوع فنذكر البعض من تلك الآثار هنا أيضاً. حيث توجد مجموعة كبيرة من النصوص المندائيّة المكتوبة على ألواح الرصاص, وطبعاً لم تتم عليها أية عمليات فحص مختبري لتحديد أعمارها ولكن حسب تخمينات المستشرقين ومنهم ليدزبارسكي أعاد أحدها لنهايات القرن الثالث الميلادي وماكوخ أعاد بعضها إلى منتصف القرن الثاني الميلادي وبعضها للثالث والرابع الميلادي. ويقول الباحث ياموجي بأن علماء آخرون يشككون بتلك التواريخ المتأخرة التي أعطيت لتلك النصوص المكتوبة على ألواح الرصاص.

وكذلك توجد مجموعة من العُمل التي تعود إلى فترة مملكة ميسان وهي مكتوبة بالأبجديّة المندائيّة حسب بعض المستشرقين ولكن البعض الآخر منهم اسموها الأبجديّة الميسانيّة, على الرغم من كونها متطابقة مع الأبجديّة المندائيّة ولكنها تُكتب بحروف مُنفصلة غير متصلة وهذا طبعاً لا يمثّل اختلافاً بالأبجديّة. وتلك العُمل تحمل اسم الملك ابكناي ملكا Ibignai mlka, ويعتقد الباحث ليدزبارسكي بأنها تعود إلى الفترة 150-224 م. وكذلك توجد عملة أخرى تحمل أسم ماني نبي الديانة المانويّة مكتوبة بالمندائيّة وقد أعادوها إلى

القرن الثالث الميلادي. وأنّ وجود النقود المضروبة باللّغة المندائيّة في آثار مملكة ميسان يدل على أنّ عائدية تلك المملكة كانت للمندائيين.
(Yamauchi, 1983: 127-128)
(Widengren, 1965: 36)

ومن بحث سابق قمت به يتم إثبات خروج المانويّة من المندائيّة, وأنّ ماني نفسه كان قد تمّ تكريسه كرجل دين مندائي وانشقّ لاحقاً ليؤسس دينه التبشيري العالمي.
(Al-Jader, RtP, 2024: 966)

وحتى صلواتهم التي وضعها لهم ماني وكان ابن النديم قد ذكر بعض التفاصيل عنها وعن التراتيل التي يرتلونها فيها فهي مأخوذة بقدر كبير من كتاب التراتيل المندائيّة مع وجود تغييرات فيها لتناسب وضع ماني كنبي لتلك الديانة التبشيريّة.

(ابن النديم, بدون تاريخ: 397-398)
(Al-Jader, RtP, 2024: 942)

وأمّا لغرض فهم الفلسفة المندائيّة من ناحية الأفكار التي يسمونها بالغنوصيّة, فنجد بأنها ذات علاقة مباشرة مع الفلسفة البابليّة ولأنها تُمثل استمراراً لها ولطقوسها. وقد كانت هنالك إشارات في كتب المسيحيين الغنوصيين الأوائل عن وجود طقوس مُشابهة للطقوس المندائيّة مثل طقس الصباغة لدى المندائيين, ومنها هو ما تمّ ذكره في كتاب باروخ المكتوب من قبل غوسطين الغنوصي.

"Book of Baruch, by the gnostic Justin"
(Widengren, 1968: 551)

وفيه تقول الرواية الدينيّة بأن المخلّص ولغرض تطهيره عندما يدخل في حضرة الإله الأعلى فسوف يُعمّد بالماء الحي الذي يشرب منه أيضاً. وهذا عنصر تشابه مهم مع المندائيين الذين لديهم هذه الرواية عن الملاك هيبل زيوا الذي هو يأتي بدور الملاك المُخلّص فتتم صباغته في عالم النور بالماء الحيّ بعد عودته من مهامه.

- *"فَتَحنا أبوابَ النُّور , ووقفنا قدّامَ أبي. كان مانا وهيأتُهُ في استقبالِنا. صاروا يحتضنونني ويُقبّلونني. قالوا: مباركةٌ عودتُكَ ياهيبل مانا النَّقيّ, ياشر-زيوا. وأعَدَّ أبي اليردنا...*

خرجتُ من نُطُفْتا , وسِرتُ إلى أبي. صَبَغني أبي بَيرادِنَ مُعَظَّمات , بيضِ المياهِ نيّرات , صَبَغَ فيها جميعَ الأُثريّين , فصَعِدوا إلى علّيّين , وصَلُّوا على ضَفَّةِ المياهِ الحيَّةِ مُقيمين."

(الكنزا ربا ترجمة بغداد, 2000: اليمين 102)
(Lidzbarsky, 1925: 163-164)

وبرغم محاولات بعض أتباع نظرية خروج المندائيين من الغنوصيين, وقولهم بأن الصباغة المندائيّة هي مشتقة من الطقوس النسطورية حسب الباحث هانز ليتزمان. ولكن الباحث أريك سيغلبيرغ Eric Segelberg كان قد أثبت بأن الصباغة المندائية هي ذات أصل مُتفرد ولم تُشتق من غيرها, ولهذا فقد تمّ رفض نظرية أشتقاق المندائيين لطقس الصباغة من الفِرق المسيحيّة البدائيّة.

(Segelberg, 1958: 155ff)

وهنالك كتاب مهم يستعرض مقارنات عن تشابه الطقوس المندائيّة والبابليّة والمطابقة بينهما, وخاصّة طقوس التطهير بالصباغة التي تُسمى بالتعميد لدى المسيحيين. حيث أن الأستاذ الألماني زيمرن والذي كان قد ترجَم الكثير من النصوص السومريّة والبابليّة من لغتها الأصليّة, فكان قد أشار في بداية القرن العشرين إلى أوجه التشابه المذهلة بين صباغة المندائيين ومراسيم الطهارة بالمياه في بلاد ما بين النهرين.
(Zimmern, 1906: 959-967)

كما وتوجد مُقارنات أخرى للتشابه الكهنوتي المندائي مع الكهنوت البابلي, وقدّم الباحث الألماني ماوروس ويتزل في كتابه "الدراسة المسماريّة وأطروحات في مجال الأدب المسماري", بتبيان التطابق بين السلك الديني المندائي والبابلي عبر تبيان تطابق الطقوس والفلسفة. وعلى سبيل المثال فأن طقس الصباغة يجب أن يتم للكاهن المندائي بارتدائه للثوب المقدّس المكوّن من سَبعة أجزاء, وهذه هي نفس طقوس السلك الديني البابلي, فيرتدي الكاهن البابلي نفس الأجزاء السبعة للثوب الديني والتي كانت تربط هذا الطقس بالكواكب السبعة, فكل واحد من تلك الكواكب كان يُعطي أحد الأشياء للكاهن وحسب طبيعته.
(Witzel, 1918: 57)

وضمن المقارنات التي تُثبت التطابق المندائي البابلي, فقد استعرض الباحث السويدي ودنغرين في كتابه "التتويج السماوي والتعميد: دراسات في معمودية المندائيين" فكان قد استعرض بعض أوجه التشابه المهمّة بين الطقوس المندائيّة وطقوس بيت ريمكي في بلاد الرافدين. وبيت ريمكي هو مبنى مؤقت لغرض أجراء الطقوس فيه, ونفس هذا المبنى المؤقت الذي يُبنى من القصب والطين هو موجود في المندائيّة, ويُسمى المشكنا وتُجرى فيه نفس تفاصيل تلك الطقوس الدينيّة البابليّة القديمة.

ومن المُتشابهات أشار ودنغرين إلى تشابه طقوس الصباغة أو التعميد بينهما وكذلك إلى طقوس دفن الموتى. عندما كانت تُجرى طقوس دفن صورة تمّوز لدى البابليين والتي كانت تتضمّن التطهير في الماء والمَسح بالزيت وارتداء الثوب الطقسي. وتلك التفاصيل هي متشابهة بقدر كبير في الطقوس المندائيّة. وبرغم كل تلك المتشابهات والدلائل الدامغة التي ذكرها, فقد كان ودنغرين يضع الاحتمالات بكون المندائيين قد تعلّموا تلك الطقوس من المصادر الرافدينيّة عندما كانوا في الغرب.

(Widengren, 1968: 51-82)

ويقصد عندما كان المندائيون يعيشون في فلسطين. وهذا الاقتراح هو مجاملة لأتباع نظرية الأصول اليهوديّة للمندائيين ولأن قوله بغير ذلك سوف يعني مواجهة معهم. فهذا سيعني بأن الفلسفة المسيحيّة قد خرجت من المندائيّة وليس من اليهوديّة.

وقد كان الباحث الياباني الأميركي ياموجي قد وجّه النقد لودنغرين حول هذا الطرح بسبب محاولته لعدم الاعتراف بكون المندائيين هم استمرار للديانات البابليّة. وحتى بعد أرفاقه لكل تلك المتطابقات الأساسيّة في الفلسفة والطقوس. فوصف اقتراحه بأنه غريب وبأنه مجرّد تكهّنات. وقال بأنه من المؤكد بأن التفسير الأفضل والأبسط هو أن العناصر الرافدينيّة قد استوعبت في الشرق. ويقصد بأن المندائيين قد تعلموا تلك الفلسفة والطقوس في نفس بلاد الرافدين.

(Yamauchi, 1970: 93)

وفقط للتنويه فان كلمة مشكنا المندائيّة هي أتت من مشكانو الأكديّة. ثُم تطوّرت كلمة المشكنا لتُصبح المَسكن في العربيّة.

(Black ,George & Postgate, 2000: 202)

وكما بيّنّا في بحث سابق فأن مُعظم المُفردات المندائيّة لها أصول أكديّة, وكذلك بأن جميع الكلمات المندائيّة قد دخلت في داخل اللّغة العربيّة الكبيرة لتُصبح هذه اللّغة مُحتواه داخلها كليّاً. مع تبديل اللّفظ وبعض التغييرات في استخدام المعاني طبقاً للفارق الزمني الكبير بين اللّغتين. وعلى سبيل المثال تم تبديل استخدام حرف ش في المندائيّة إلى س بالعربيّة.

(الجادر, 2024: 636-666)

وقد كان يوجد العديد من المستشرقين المحايدين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين قبل صعود بريطانيا الاستعماريّة وتبنيها للفكر الصهيوني. ومن هؤلاء كان الأستاذ الدانماركي سفند "Svend Aage Pallis" وعلى قدر فهمه للعقيدة المندائيّة وفلسفتها ولكنه قام بكتابة مصادر موثوقة وبين بأن الفلسفة المندائيّة هي دين أصيل متفرّد وبأنها لم تكن بدعة أو فرع من ديانة أخرى وليست مسيحيّة منحرفة ولا منشقّة عن اليهوديّة؛ وإنما هي ديانة مستقلّة ذات جذور قديمة تعود إلى ما قبل الميلاد وهي مرتبطة بفلسفات بلاد الرافدين خاصّة في الطقوس والفلك وأسماء الكواكب والأنهار المقدّسة.

(Pallis, 1919: Chapter 2-4)

أنّ محاولات أنكار الأصول والفلسفة الرافدينيّة للمندائيين من قبل المستشرقين في القرن العشرين, يأتي بسبب المُغريات أو الضغوط القويّة على الباحثين الغربيين من قبل المؤسسات الدينيّة الصهيونيّة. فيستشهد الأستاذ ياموجي بأحد الباحثين المختصين والذي قام بمراجعة أعمال دراور وهو يوناس غرينفيلد Jonas Greenfield فيقول: "على وجه التحديد فأن العناصر الآشوريّة والبابليّة الموجودة في النصوص والطقوس المندائيّة قد تمّ إهمالها من قبل دراور, لصالح أن تقول بأنهم ذو أصل فلسطيني في كتابها آدم الخفي".

(Yamauchi, 1970: 92)

الناصورائيّة والناصورائيون

قبل البدء بالبحث في موضوع الغنوصيّة ضمن النصوص المندائيّة, فتجدر الإشارة بأن المندائيّة لم تكن ديانة لها مؤسس أو نبي واحد كما في باقي الأديان, ولأنها ذات قِدَم كبير فتعاقب كثير من الناصورائيين على تعليمها ونشرها. وبالتالي فهنالك تداخل كبير بين النصوص المندائيّة وأحداث العصور التاريخيّة المختلفة لبلاد الرافدين. وهنا سوف نأتي لشرح موضوع الناصورائيّة.

*الناصورائيّة والناصورائيون Nasoraians / Nasoraeans: هم طبقة رجال الدين القدامى الذين عرفوا الخالق وأحسّوا بوحيه, ويُقابلون تسمية الأنبياء لدى الديانات الأخرى. وهؤلاء هم الذين يمتلكون العِرفان الذي يأتيهم من التواصل مع الفَيض الإلهي, وكانوا يجلبون التعاليم والفلسفة الدينيّة.

أنّ التعاليم الناصورائيّة تمثّل جوهرة النصوص الدينيّة المندائيّة. وهي مَعرفة عميقة وسريّة وكانت محصورة بطبقة رجال الدين الناصورائيين في الزمن القديم. أي بأنّ الناصورائيّة هي صفة معرفية للبعض منهم وليست وصف لجميع رجال الدين المندائيين أو لدرجة دينيّة معينة. وأنّ كلمة الناصورائيّة تأتي بصورة حصريّة للتعبير عن التواصل مع الفيض الإلهي وأخذ المعرفة, وهي أيقونة خاصّة بالمندائيين. وهذه الكلمة موجودة في مُعظم المصادر القديمة التي تتحدّث عنهم. ولهذا فهي دليل على القِدم المندائي العريق, وهذا الدليل كان يقدّمه الباحث ماكوخ.

(المدني, 2009: 246)

ويعود أصل كلمة الناصورائيّة إلى الجذر الأكدي نصّر وتعني راقب أو حدس أو لاحظ, وهذه الكلمة كانت مُستخدمة بهذا المعنى في طقوس الكهنة الأكديين, وهي بنفس المعنى في المندائيّة. وفي اللّهجة البابلية فهي نصارو Naṣāru وناصيرو Nāṣiru وأيضاً تعني الحرّاس والحماة أو مراقبي السماء أو حافظي الأسرار وبمعنى حفظ الأسرار الربانيّة. ولهذا فأن التعاليم الناصورائيّة هي سريّة ولم تكن مُتاحة للعامّة سوى للمختارين من طبقة الكهنة.

(الجبوري, 2009: 409-410)

(Black ,George & Postgate, 2000: 244)

ونجد العديد من النصوص المندائيّة التي تتحدّث عن الناصورائيّة وعن الناصورائيين.

-"أيّ سلاحٍ جبارٍ تبتغين أيتها النشمثا من كنوز الحيّ؟

أعطيناكِ سلاح الناصورائيّة الكلمات الصادقة الحقّة التي أتتكِ من عالم النور" الكنزا ربا

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (أ).

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

ويمكن مقارنة هذه الترجمة مع ترجمة بغداد لكتاب الكنزا ربا.

(الكنزا ربا ترجمة بغداد, 2000: اليسار 46)

والنَص السابق كان يتحدّث عن خوف النشمثا أو النَفس النقيّة من الدخول في الجَسد البشري. فطلبت من خالقها سلاح لتدافع عن نفسها في عالم الظلام الذي هو العالم الأرضي؛ ولكن الأوامر الإلهيّة كانت تطمئنها بأنها تمتلك أقوى الأسلحة وهي المقدرة الناصورائيّة. يُذكر بأن الفلسفة المندائيّة تفرّق بين النشمثا أو النَفس النقيّة ذات الأصل الإلهي وبين الروح التي هي الطاقة الطبيعيّة للحياة المُرتبطة بالجسد. وقد وضعت كل من النشمثا والروح في الجسد.

لقد وصلت الفلسفة الناصورائيّة لمعرفة وجود الخالق الواحد, وتكهّنت بصفاته من تأملها في الخلق والخليقة ومن الوحي الذي كان يأتي للطبقة الناصورائيّة الخاصّة من سلالات الكَهَنَة القدامى, عندما كانت الفلسفة في أوج نقائها. وتلك الفلسفة وطريقة البحث فيها هي جوهر العرفان الناصورائي.

ولو نعود إلى مُعظم النصوص الدينيّة المندائيّة فلا يوجد لها مؤلّف أو كاتب بشري سوى أنهم يَعزونها للملاك هيبل زيوا الذي كان يوحي بها ولقبه هو جبرائيل في النصوص المندائيّة. وأصل الكلمة من جبرا وتعني رجل وإيل تعني العالي وهو أحد أسماء الله البابليّة, فيصبح معنى الكلمة الكلي رجل الله. ونجد بأن مُصطلح الأنبياء يندر استخدامه في الكُتب المندائيّة للإشارة لأصحاب الوحي, وإنما يُسمون بالناصورائيين وهُم سلالات من الكهنة يتوارثون السلك الديني ولديهم المعرفة والقدرة للتواصل مع الفيض الإلهي الذي يوحي لهم. وأنّ مُعظم الناصورائيين لم تكن تُذكر أسمائهم في النصوص, لأن الكشف عن شخصياتهم هو محرّم, كما هو محرّم كشف النصوص نفسها أو تفاصيلها. وإنما قد تمّ ذكر الناصورائيين الأساسيين فقط وخاصّة من الذين كانوا معروفين لدى الديانات الأخرى, وهم آدم, شيتل بر آدم, نو (نوح), سام بر نو (سام بن نوح), دنانوخت (إدريس), يهيا يهانا (يحيى بن زكريا). وهؤلاء كانوا قد عُرفوا من خلال تأثيرهم في الأديان الأخرى ودخولهم في نصوصها. وبرغم وجود نصوص مكتوبة من قبلهم وهي موثّقة بأسمائهم, ولكن توجد أيضاً نصوص كثيرة أخرى لم تتم كتابتها من قبل هؤلاء, ولكن من قبل ناصورائيين آخرين.

أنّ موضوع عدم الإعلان عن شخصيّة صاحب الوحي وكاتب النصوص الدينيّة والتراتيل المقدّسة من الناصورائيين, هو من ضمن تعاليم أديان بلاد الرافدين فلم يكونوا يكتبون أسمائهم على التراتيل والنصوص الدينيّة. ولأن العَمل الذي يقومون به هدفه هو التقرّب من الله فقط وتنفيذ أوامره, وليس لتحقيق مجد شخصي وكذلك لأن أصحاب الوحي لم يكونوا يكشفون شخصياتهم خوفاً من استهدافهم أو التأثير عليهم. ومن جانب آخر فأن النصوص المقدّسة والقديمة جداً كانت تجري عليها عمليات إعادة نسخ وتنقيح عبر الأزمان فلا تعود تخص شخص واحد. وفي حالة وجود أسماء مكتوبة فهي للناسخ الذي نسخ النصوص القديمة ولكي يتحمل مسؤوليتها من ناحية المصداقية والمُطابقة مع النسخ الأقدم.

(باقر, 1976: 52)

لقد كان الكهنوت البابلي يعتمد على السريّة التامّة وعدم جواز كشف معلوماته للعامّة. وكانت التراتيل والنصوص الدينيّة البابليّة المقدّسة تنتهي بعبارة "هذه الطقوس التي سوف يؤديها يحق فقط للكهنة الذين توارثوا الطقوس أن يطّلعوا عليها, ولا يحق للغريب أن يطّلع عليها إلا قصرت أيامه. ويستطيع الكاهن الشاب من السلالة المتوارثة أن يعلمها لكاهن شاب غيره. أما الغريب الغير منتمي للكهنوت فلا يجوز أن يراها, فهي من الأشياء التي حظرها كبار الآلهة آنو وإنليل وإيا".

(Hooke, 1953: 123)

وضمن الألواح المسمارية أيضاً فقد وجد أحد النصوص السومريّة التي تتحدّث عن عملية الخلق فيذكر في نهايته ما يلي :

"ها هنا عقيدة سرية يجب ألاّ يتمّ التحدث بها إلا في ما بين المؤهّلين"

(الشواف, 1997: 95)

وهذا يُعطي فكرة عن عدم جواز نشر العقيدة والفلسفة السريّة منذ ذلك الحين. حيث أنّ النص السابق لا يذكر مردوك الإله البابلي الأعظم ولا يُشير إليه ولهذا فهو أقدم من فترته التي بدأت مع عصر حمورابي في القرن التاسع عشر ق.م.

يُذكر بأن مجموعة من العلماء المختصّين بحضارات بلاد الرافدين خلال القرن التاسع عشر وبزعامة الأستاذ جوزيف هاليفي "Joseph Halevy", كانوا يعتقدون بان اللّغة السومرية هي لغة مقدّسة وسريّة من ابتكار البابليين أنفسهم وبأنهم يستخدمونها لأغراض دينية وشعائرية. وأحد أدلتهم على ذلك هو بكون جميع المعابد في العصور التاريخية المختلفة كان يتوجب أن تحمل اسماً باللّغة السومرية وحتى بعد زوال السومريين المفترض. واستمر هذا الموضوع إلى أواخر عصور الحضارة البابليّة. ولكن سادت آراء مجموعة أخرى من الباحثين خلال القرن العشرين ومن أبرزهم كان صمويل نوح كريمر. وكانت بحوثهم تُصر على وجود اللّغة السومريّة المختلفة عن الأكديّة لتقول بوجود قوميّة سومرية تختلف عن القوميّة الأكديّة.

(حنون, 2007: ص20-21, 40)

علماً بأن الأستاذ كريمر الذي يحمل الجنسيّة الإسرائيليّة, كانت له مصلحة عقائديّة باختلاق نظريّة السومريين المختلفين عرقيّاً عن الأكديين. ولأنه وضع نظريّة أخرى لا تحتوي على أي دليل وتقول بأن العبرانيين من دون باقي الأقوام الساميّة يكونون من نسل هؤلاء السومريين الذين اخترعوا كل الحضارة. بينما يُبرز عليه الأستاذ نائل حنون العديد من الأدلّة حول تحريف كريمر للترجمات واختلاق كلمات غير موجودة في النصوص لكي يدعم نظرية وجود السومريين وينسب العبرانيين لهم.

(حنون, 2007: ص24)

ورغم كونه خارج موضوع البحث, ولكن بسبب محاولات سرقة تاريخ بلاد الرافدين المتكررة فسوف نتناول موضوع الأصل الرافديني المشترك للسومريين والأكديين بصورة سريعة.

لقد كان كل من الأساتذة طه باقر ونائل حنون قد أرفقا العديد من الدلائل لتبيان أن السومريين هم نفسهم الأكديين. فكان طه باقر قد ناقش جميع نظريات المستشرقين بخصوص الأصول السومريّة, والتي تمثّل أساس أهتمام المستشرقين لمحاولات فصل السومريين عن الأكديين؛ وبين بأنها مجرّد ادعاءات وافتراضات لا دليل لها. بينما هو نفسه قدّم نظريته "بأن السومريين هم من نفس سكان بلاد الرافدين وبأنهم ينحدرون من جماعات محليّة وليست مهاجرة من الخارج. ودليله على ذلك بأنه لا يوجد في المآثر السومريّة, وعلى رأس ذلك آدابهم وأساطيرهم وشعائرهم الدينيّة, ما يمكن أن يشير إلى أصل غريب عن بيئة وادي الرافدين الطبيعيّة, ولا سيما القسم الرسوبي منه, بل إن طابع حضارتهم المميز مشتق من بيئة نهرية ذات أحراش وقصب ونخيل وأثل وطمى وغرين وفيضانات وسهول وفوق ذلك أثر الطبيعة في حضارة وادي الرافدين". وكذلك فقد ذكر في كتابه بأنه لم يكن هنالك من صراع بين السومريين والأكديين, ولكنها كانت صراعات بين الممالك السومريّة نفسها وليس بين مجموعتين منفصلتين. وبالتالي فأن هذا يعطي دليلاً على كون السومريين والأكديين هم من نفس الأصول, وإلا لكانت الصراعات قد نشبت بين المجموعتين المختلفتين من ناحية قوميّة وليس سكانيّة.

(باقر, 2009: 78-83, 104)

ثمّ أكمل الأستاذ الآثاري نائل حنون الأدلّة, فرفض فكرة القوميّة السومرية المختلفة عن الأكديّة. وبالإضافة لما كان قد قدمه طه باقر قبله, فأن الأستاذ حنون قد أضاف أدلّة جديدة ومنها: التأكيد على أنّ العقائد الدينيّة والآداب للسومريين والأكديين عبر العصور كانت هي نفسها, وهي توحي بوجود شعب واحد تمسّك بعقيدة دينيّة واحدة وعبادة الآلهة نفسها طوال تاريخه. وكذلك بالنسبة للأدب, فأن أبواب الأدب التسعة هي متطابقة في النصوص السومرية والأكدية: والتي هي قصص الآلهة والأبطال, الترانيم, المراثي, الرسائل الأدبيّة, المناظرات والحوارات, أدب الحكمة, أدب السحر, الهزل والهجاء, ونصوص متفرقة. وهذا بأنه لو كان السومريون يختلفون عن الأكديين؛ فسوف يكون من الصعوبة تصوّر هذا التطابق في الفكر والعقيدة بين المجموعتين العرقيتين المختلفتين. ودليل آخر هو بأن استخدام اللّغة السومريّة قد أستمر حتى بعد أنقراض السومريين المفترض لقرون طويلة, وكذلك أستمر ملوك العهد البابلي القديم والحديث باستخدام تسمية "ملك سومر وأكد"؛ ومن تحليلها فهي لم تكن تشير إلى وجود دلالة جغرافيّة أو قوميّة في المصطلح, وأنّ الأكديين كانوا هم الذين يصوغون المقاطع الرمزية السومرية وكذلك وجود أسماء أكديّة للملوك في الغالب خلال العهد السومري مثل أسماء ملوك أور بعد الطوفان بموجب إثبات الملوك السومرية, وحتى أسماء المدن الرئيسيّة القديمة في جنوب العراق لم تكن سومريّة. ودليل آخر يقول به الأستاذ حنون هو بوجود تأثير أكدي على الكتابة المسماريّة؛ وهذا يشير إلى أنّ الأكديين كانوا على صلة بالكتابة حين تمّ أختراعها. وآخر بأن الكتابة في مراحلها الأولى لم تكن محصورة في المنطقة الجنوبية التي أفترضوها لبلاد سومر؛ وإنما كانت حتى ضمن المنطقة الأكدية البعيدة عن سومر المفترضة مثل ديالى. ومن جهة أخرى فأن النصوص الأكديّة كانت قد بدأت بالظهور منذ عصر فجر السلالات الثالث الذي يفترض بانه من عصور السيادة السومرية قبل عهد سرجون الأكدي. وأنّ النصوص الملكيّة وأسماء السنين كانت ثنائية اللغة أما النصوص الدينية والاقتصادية فكانت تدوّن أمّا بالسومرية أو بالاكدية, ورغم ذلك فلم يتم ذكر السومريين ضمن الأقوام القديمة التي أشارت لها النصوص المسماريّة.

ثم يقوم الدكتور نائل بالتأكيد على الأدلّة التي قدّمها طه باقر قبله مثل: عدم وجود صراع بين السومريين والأكديين, وبأن دراسة المميزات الجسمانيّة للسومريين لا تختلف عن الأكديين وأنّ هياكلهم العظمية كانت نفسها وتعود لعنصر البحر المتوسّط, وبأن تماثيلهم كانت تحاكي عصرهم ولأن كل عصر له فنّه الخاص وليس لأنهم من أصل مختلف. وبعد ذلك يستعرض أدلة لغويّة أخرى ويصل لاستنتاج نهائي هو "بأن الأكاديين كانوا هم الذين وضعوا السومرية لغرض التدوين, قبل أن يتمكنوا من ابتكار وسيلة لتدوين اللغة الأكادية نفسها. وبأن السومريّة كانت قد ابتكرت لتُرسم على الألواح أكثر من كونها لغة محكيّة".

(حنون, 2007: ص40, 25-26, 30-36)

أنّ جميع ما تمّ ذكره عن كون اللّغة السومرية بأنها تعود لنفس الأقوام الأكديّة وبأنها كانت لغة سريّة خاصّة بالنصوص الكهنوتيّة الرافدينيّة القديمة, هو ينطبق على مبدأ الحفاظ على سريّة التعاليم الدينيّة وعدم جواز كشفها لغير المريدين من أتباع الكهنوت. وهذا الموضوع يتّفق مع التعاليم الدينيّة المندائيّة التي هي استمرار للتعاليم البابليّة. وهي تسير نحو هذا الاتجاه لسببين الأول هو الحاجة للغة لها قدسيّة وتكتب بصيغة معينة وبطريقة خاصّة لضمان عدم تسلّط قوى الشر عليها وإبطال قوتها وقدسيتها "وكما في كتابة النصوص المندائيّة التي تستوجب صلوات معينة خلالها وطريقة كتابة خاصّة من الأعلى للأسفل ومن اليمين لليسار بالإضافة إلى وصفات سريّة خاصة لصناعة الحبر والورق المستخدم", والسبب الثاني هو عدم جواز كشف التعاليم والنصوص والأسرار الدينيّة خارج مجتمع الكهنوت. فتكون لغة سريّة خاصّة بالكهنة وقيادات البلاد السياسيّة والاقتصاديّة في بابل لأنهم جميعاً كانوا كهنة.

(Jastrow, 1898: 467)

أنّ هذا التحريم الكهنوتي البابلي على كشف التعاليم يتطابق تماماً مع تعاليم الكهنوت المندائي الذي يحتوي على التحذيرات الكثيرة حول عدم جواز كشف المعرفة, والتي تحذّر حتى من أعطاء التعاليم للمندائيين الذين لم يكونوا من السلالات الدينيّة القديمة, وكذلك للذين لايتّصفون بالحكمة والسلام.

** "السيماء العظيم ذو الوقار دعاني وأوصاني هو وهيئته.*

وقال لي: عندما تذهب إلى تاروان الطاهرة, لا تقُل قولك للأثري المُشوّشة.

ولا تُنادي مثل الحياة الثانية التي خَرَجَ منها كُل ماهو سيء وناقص وأنتشر منها الكَذب في العالم.

لا تُعلّمها عن التنوير والمعرفة والتسبيح والأقوال الخفيّة التي أتت من هُناك.

ولا تُلقي القول الكبير في الماء العكر.

لا تعطها للأثري التي ليس في طبعها السر والهدوء والسلام.

أعطها لأثريي تاروان الطاهرة الذين ناداهم الحيّ.

أعطها لواحد من ألف ولأثنين من عشرة آلاف."

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (ب).

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

ويمكن مقارنة هذه الترجمة مع ترجمة الكنزا ربا طبعة بغداد أو مع ترجمة ليدزبارسكي.

كتاب الكنزا ربا (٢٠٠٠): بغداد. النسخة العربيّة. مطبعة الديوان. ص268

(Lidzbarski, 1925: 303-304)

أنّ النَص السابق يُبين مدى سريّة التعاليم, وهو السبب الذي جعل الناصورائيون القدامي لا يتركون الكتابات حول المعرفة الناصورائية التي امتلكوها. باستثناء الإشارات التي وردت عنها ضمن النصوص في الكتب المندائيّة الأساسيّة. وإنما كانوا يقومون بتلقين المعرفة السريّة شفوياً لسلالاتهم الكهنوتيّة وكذلك ضمن دواوين سريّة يكتب عليها تحذيرات كثيرة لعدم إفشاء أسرارها.

وبالإضافة إلى سريّة التعاليم الدينيّة في كل من الكهنوت البابلي والمندائي, فهنالك تشابه مهم آخر؛ وهو بأن تعاليم السلك الديني البابلي العميق كان متوارثاً, وكان الدخول له قائماً على نقاء الدم. فلا يجوز دخوله سوى لمن وُلد من سلالة كهنوتيّة. وكذلك هم الناصورائيون فكانوا يتوارثون السلك الديني ويعتزلون المجتمع, وتكون العبادة والطقوس أهتمامهم الوحيد. فلا يجوز حتى لعامّة المندائيين أن يَعرفوا أسرارهم ونصوصهم. وبقي السلك الديني المندائي مقتصراً للعوائل الناصورائيّة ومحصوراً بالوراثة مُنذ آلاف السنين. فلم يكن ممكناً الانتماء للسلك الديني سوى لمن وُلد ضمن عائلة كهنوتيّة من جهة الأب رغم وجود استثناءات قليلة.

وعند العودة للكتب والدواوين القديمة التي نَسخها الشيوخ المندائيين منذ آلاف السنين وخلال جميع الحُقب الزمنيّة, وكانوا يذيلونها بأسمائهم الكاملة وأسماء أجدادهم وعوائلهم, فنجد بأنّ أنساب الشيوخ تُبين بأنهم جميعاً كانوا أولاد وأحفاد شيوخ أي توارثوا السلك الديني. واستمرّت حالة التوارث لغاية مُنتصف القرن العشرين ودَخل بعدها من عامّة المندائيين للسلك الديني. وأنّ السلك الكهنوتي المندائي كان مَلَكياً وليس ديمقراطياً, وبمعنى أنه لا يتم الانتماء له بالانتخاب؛ وإنما بتوفّر شروط معينة وصارمة وأحدها بكونه من

سُلالة ناصورائيّة. وطبعاً يجب أن يكون نقيّاً وفاهماً ومستحقّاً. ولكن أيضاً يجب أن يكون سالماً جسديّاً من أية عاهات أو أمراض أو نقص جسدي. وهذه هي نفس شروط الانتماء للسلك الديني البابلي, الذي كان يشدد على سلامة وصحّة البدن للمتقدمين للكهنوت.

(Jastrow, 1898: 659)

وتقول دراور في كتابها الصابئة المندائيون بأن السلك الكهنوتي المندائي هو وراثي. وهنالك عوائل توارثت السلك الكهنوتي من الأب للأبناء لقرون وبدون انقطاع, ولكنها تَستدرك بأن الدخول للسلك الكهنوتي كان أيضاً مُمكناً عند توفّر النقاوة الكاملة في سُلالة المُتقدم للكهانة ولكنها كانت غير مُرجّحة. كما وأنَّ السلك الكهنوتي كان وراثياً في مُعظم الديانات الرافدينيّة القديمة ومنها كهنة بارو في سيبار المدينة السومرية القديمة والبابلية لاحقاً. وكذلك الكهانة وراثيّة في الديانة اليهودية والزرادشتيّة أو المجوسية.

(Drower, 1937: 146)

ويَذكر البروفسور الياباني الأميركي ياموجي: "بأن أول درجات السلك الديني المندائي هي اشكندا ونفس هذه التسمية هي موجودة ومذكورة بالسومرية اشكندا وبالأكدية اشكندو وتعني المُساعد. وأنّ هذه الدرجة كانت تُعطى للأولاد قبل سن البلوغ, وأنه يجب أن يكون أبن لكاهن أو أبن رئيس الكهّان".

ثمّ يُضيف: "أن الرجل المندائي عندما يدخل للسلك الديني ويصبح بدرجة الترميذا فهو يكون قد ترك المندائيّة وأنتقل لمرحلة أعلى منها وهي مرحلة الكهانة, وحتى في تلك المرحلة فهو لم يكن قد بلغ مرحلة الناصروثا المُرتبطة بالوحي والتي تكون محجوزة لقلّة قليلة جداً من الكهنة, ولهذا فيوجد تمايز كبير بين رجال الدين العلمانيين والوراثيين الذين توارثوا السلك الديني."

وهذا بأن ياموجي يضع السلالات الدينيّة الوراثيّة المندائيّة؛ بأنهم أصحاب الناصروثا والوحي المرتبط بها. وهو كان قد أعتبر بأن قوانين وتنظيم السلك الديني المندائي والتشديد على الأخلاق والطهارة العالية, بأنه يختلف كليّاً عن الفِرق الغنوصيّة التي تحاول المنظمات الدينيّة ذات الفلسفة الصهيونيّة أن تنسبهم إليها.

(Yamauchi, 1970: 34, 42)

وقد سجلّ الأب إغناطيوس الكرملي حواراته ونقاشه مع الصابئة المندائيين وكتب كتاباً عن تعاليمهم بأمر الكنيسة وكان هدفه هو تحويلهم للمسيحيّة. حيث أنه كان في كنيسة القديسة مريم في البصرة خلال منتصف القرن السادس عشر مع الكهنة البرتغاليين. فكتب ما يلي:

"لا يتم تكريس كاهناً منهم ما لم يكن من نسل الكهنة وابن امرأة كانت عذراء عند زواجها" ويضيف أيضاً:

"عندما يموت أسقف (ويقصد به رئيس رجال الدين)، يجتمع كهنة الشعب ورؤساء أساقفته، وينتخبون له ابن الأسقف المتوفى، الأكثر علمًا وخبرة في طقوسه واحتفالاته. وإذا لم يولد ابن، فإنهم ينتخبون الأقرب من الدم والأكثر ملاءمة لهذا المنصب."

(Carmelita; 1652: 31-32)

علماً بأن كتابه مكتوب بالصيغة الروائية التي تعتمد على توجيه سؤال وجواب بين شخصيته كمحاور وبين شخصية أفتراضية لرجل دين مندائي.

ولو يسأل أحدهم, لماذا كان الدخول للسلك الديني البابلي والمندائي مقتصراً على الوراثة؟ والجواب هو بالصفات التي كانت لديهم ويتوارثونها. فالناصورائيين كانت لديهم موهبة فهم ومعرفة العقيدة السريّة عبر الدقّة والملاحظة والحَدَس. وكما ذكرنا بأن معنى تسمية الناصوارئيّة تعود للجذر الأكدي نصّر ويعني راقب أو لاحظ.

وقد ذكرت دراور في كتابها الصفات التي اعتقدتها عن الناصورائيين ومنها بأن الناصورائي هو مراقب للنجوم والعلامات والأبراج. وكذلك نقلت حكاية شفاهية عن صفات أحد الناصورائيين, وكان قد توارثها الشيوخ الذين حاورتهم قبل قرن من الزمان. وتقول الحكاية بأن الناصورائي سوف يفهم نعيب الغُراب (يحرك الغُرابُ رأسه ويصيح) أثناء تحليقه باتجاه أحد الأبراج الفلكية, وكذلك فهو سوف يفهم معنى الحريق حين يشبّ, والجو حين يكون غائماً وتتخذ السُحب أشكال الحيوانات, وكذلك خسوف القمر ودلالته وعلاقة تلك المتغيرات بالوقت والاتجاه. ومن جانب آخر فأنَّ الطقوس التي يقوم بها الكهنة مثل طرد الشر والمراسم والطقوس والكتابة الطقسية, تستجيب للناصورائيين فقط وليس لجميع الكَهنة.

(Drower, 1937: 4-5)

أنّ التقسيم للمجتمع المندائي إلى سلالات كهنوتيّة ناصورائيّة وإلى عامة الناس من المندائيين لم يكن حكراً على المجتمع المندائي. فقد كانت الديانات القديمة تقوم بذلك أيضاً, فيتم تقسيم أبناء الديانة إلى فئتين: فئة مُتدينة وهم الكهنة وفئة عامة الناس. حيث أنّ البوذية تُقسمهم إلى رهبان وعلمانيين, والمسيحية والمانوية تُقسمهم إلى المجتبين والسماعين وفي السريانية يُسمون صديقين وشاموئين.

(ودنغرين, 1985: 126)

وكذلك المندائيون فكانوا يقسّمون إلى طبقتين: طبقة رجال الدين أو الطبقة الناصورائيّة الذين يتوارثون الكهنوت ويطلق عليهم في النصوص تسمية الملكي (الملوك) وأصبحت لاحقاً تعرف بطبقة الحلاليّة خلال القرون القليلة السابقة, وطبقة عامة الناس ويطلق عليهم المندائيون وأصبحت لاحقاً تعرف بطبقة السواديّة. ولكن مفاهيم الاختلاف بين الطبقتين تغيّرت خلال القرن العشرين وأصبحت

الخطيئة المرتكبة من الأسلاف ستحدد إذا كان الشخص سيعتبر من الحلاليّة أو السواديّة. كمثال على ذلك وجود نقص جسدي في أجداده الثلاث الأقدم من الأب أو الأم.

مع ملاحظة بأن تسمية الملوك لرجال الدين المندائيين تعني الملك الحاكم وتعني الكاهن أيضاً. لأن جميع ملوك بلاد الرافدين القدماء كانوا من الكهنة, وهو تشابه سومري -بابلي آخر مع السلك الديني المندائي.

(Jastrow, 1898: 374)

وبسبب كون المدن الرافدينيّة كانت تحت الاحتلال الفارسي لمدّة طويلة. وكانت اللّغة المستخدمة في بعض مدن مملكة ميسان المحاذية للمدن الفارسيّة مثل مدينة شوشتر, خلال عهد الإمبراطورية البارثية (248 ق.م- 224م) تتأثر باللّغة الفارسيّة الوسيطة. فتحولت بعض المفردات المتداولة داخل المجتمع المندائي هناك, للفارسية الوسيطة. مثل أطلاق تسمية أردوان على طبقة رجال الدين ونياشاغان على طبقة عامة المندائيين. وأن تسمية أردوان لرجال الدين المندائيين الذين قادوا الهجرة المندائيّة من جنوب بلاد الرافدين إلى مدينة حرّان في شمالها ضمن قصص أحد الدواوين المندائيّة المسمّى حرّان كويثا, قد أحدثت بعض اللّبس مع أسم الملك الفرثي ارطبانوس الثالث والذي كان يُسمى أردوان أيضاً. بحيث أعتقد بعض المستشرقين ومنهم ماكوخ بأن هذا الملك الاستعماري هو الذي قاد هجرة المندائيين الذين هم أناس من أصول وديانة أخرى على مدى سنين. وهذا مثال على تخبّط المستشرقين الذين أصبحت كتاباتهم أساس معرفة العالم للدين المندائي. يذكر بأن الهجرة المندائيّة المذكورة في هذا الديوان كانت تتحدّث عن هروب المندائيين من الاضطهاد المسيحي الروماني الذي هاجمهم في جنوب بلاد الرافدين؛ بينما قام ماكوخ ودراور بتحريف قصة الهجرة المندائيّة المذكورة بهذا الديوان فقالوا بأنها كانت من فلسطين إلى مدينة حرّان وهو كلام خاطئ ينافي النص الأصلي.

(Al-Jader, RtP, 2024: 967-968)

بسبب القُدرات الناصورائية المُهمّة التي هي استمرار للكهنوت وعلوم الفلك البابليّة, فقد كان مُعظم ملوك الخلافة العباسيّة يقرّبون منهم الناصورائيين البارعين وحتى يُعطونهم مناصب تتعلق بعلم الفلك والحَدس للمساعدة في إدارة ومعرفة شؤون الدولة المهمّة. بسبب اعتقادهم بأن المعرفة الروحانية تأتي من معرفة أسرار وحسابات الفلك وكما كان الحال مع البابليين والآشوريين. ومن هؤلاء العلماء الطبيب والفلكي والأديب أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن إبراهيم الحراني الصابي رئيس ديوان الإنشاء وهو من أهم الأماكن السياسيّة في الدولة العباسيّة, وابنه ثابت الطبيب الذي اعتزّ به الأمير البويهي عز الدولة.

وأبو الحسن ثابت بن قرّة بن مروان الحرّاني الصابي الطبيب والفلكي والذي يذكر شمس الدين الذهبي في كتابه عنه فيقول: "إليه المُنتهى في علوم الأوائل حقّها وباطلها وصنّف تصانيف كثيرة وكان بارعاً في الهيئة والهندسة وله عَقِبٌ ببغداد على دين الصابئة.. وأنّ الخليفة المعتضد كان قد ادخله في جُملة المنجّمين. فكان أصل ما تجدد للصابئين من الرياسة والوجاهة ببغداد".

(الذّهبي, 2003: 726)

وكان ثابت قد ورّث علومه لابنه سنان فقرّبه الخليفة المقتدر وكان يفوض له أمر أعطاء إجازة ممارسة مهنة الطب, وله رسالة في علم الفلك عن النجوم, وكذلك ورّث سنان علومه إلى ابنه ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة واصبح الطبيب الخاص لأربعة خلفاء هم الراضي والمتقي والمستكفي والمطيع. وأيضاً كان أخوه إبراهيم بن سنان بن ثابت رياضياً وفيلسوفاً وطبيباً, وكثير غيرهم من العُلماء الناصورائيين.

ونجد توثيقاً حول أهميّة العُلماء الصابئة الذين كانوا هم دعامة الحضارة وانتشارها في أحد كُتب أبي الحسن ثابت بن قرّة, والتي كان المؤرخ ابن العبري قد ترجمها عن الآراميّة للعربيّة في كتابه تاريخ الزمان. فيذكر عن لسان أبي الحسن: "لقد اضطرّ الكثيرون أن ينقادوا للضلال خوفاً من العذاب. أمّا آباؤنا فقد احتملوا ما احتملوا بعونه تعالى ونجوا ببسالة. ولم تتدنس مدينة حرّان هذه المباركة بضلال الناصرة قطعاً. فنحن هم الوارثون والمورثون للصابئة المنتشرة في الدنيا. فالذي يحتمل برجاء وثيق اثقال الصابئة يُعدّ ذا حظ سعيد. ليت شعري من عمَّر المسكونة وابتنى المدن أليس خيرة الصابئة وملوكهم؟ مَن أسس المرافئ والأنهار؟ مَن شرح العلوم الغامضة؟ لمن تجلَّت الألوهية الملقَنة الكهانة والمعلّمة المستقبلات إلا لمشاهير الصابئة؟ فهم الذين أوضحوا ذلك كله وكَتبوا عن طبّ النفوس وخلاصها. ولقَّنوا كذلك طبّ الأجساد وافعموا الدنيا أعمالاً صالحة وحكيمة هي دعامة الفضيلة. فلولا علوم الصابئة لأمست الدنيا قفراء فارغة متقلبة في العوز."

(ابن العبري,1986 :48-49)

ومما ذكره بن قرّة في المقطع السابق, نعرف بأن العُلماء الصابئة هم الذين عمّروا الأرض بعلومهم وبنوا أوائل المدن فيها وهم الذين تجلّت لهم ملوكيّة السماء التي تُعطى للكهان. وهذه الفقرة الأخيرة تُشير إلى أصل الدين الصابئي الذي كان عليه السومريون والبابليون من بعدهم, فهو التواصل الإلهي الأول مع الأنبياء المُختارين وتنويرهم بالعلوم والتعاليم والشرائع, وهو الذي مثّل القفزة التطورية للبشر فبنوا المدن وعمّروا الأرض وعرفوا العبادة للخالق.

يُذكر بأن المستشرقين ولأسباب سياسيّة حاولوا التفريق بين عقيدة صابئة حرّان وبين عقيدة صابئة البطائح. في حين أن البحث في النصوص الدينيّة لصابئة حرّان يبيّن بأنها نفس نصوص الكنزا ربا الذي يتبعه الصابئة المندائيون, وكذلك أعتراف بن قرّة في المقطع السابق "نحن هم الوارثون والمورثون للصابئة المنتشرة في الدنيا", بالإضافة إلى أدلّة دامغة كثيرة كنت قد بينتها في المصدر التالي.
(Al-Jader, RtP, 2024: 960-968)

أنّ إقرار بن قرّة "بكون الصابئة هم الذين تجلّت لهم ملوكيّة السماء التي تُعطى للكهان" هذه طبعاً هي القصص السومريّة عن نزول الملوكيّة من السماء وكانت مدينة إريدو التي تعود للإله إيا هي أول مدينة تنزل بها الملوكيّة من السماء؛ وبمعنى الشرعيّة للملك من الإله. وكان لإيا العديد من الأسماء ومنها إله القوّة العظيمة. وكذلك كان يسمى إن كي En-ki. حيث أنه كان تجسيداً للمياه العميقة. وكان الإله بيل يمثّل الأرض بينما إيا يمثّل المياه. أي أنّ بيل وإيا هما "شخصنة" وتجسيد للأرض والماء وبهذا فهم ليسوا شخصيات إلاهيّة قائمة بذاتها, ولهذا فكانت النصوص تأتي على ذكرهما متحدين. وحيث كان بيل هو الخالق وبطل البشريّة في أحدى قصص الخليقة السومريّة, فأن إيا هو العمق الذي يحيط بالأرض وهو مصدر الحكمة والمعرفة. وكذلك فأن إيا هو شخصنة للمعرفة نفسها, بينما بيل هو شخصنة للعمل الذي ينبثق من تلك المعرفة.
(Jastrow, 1898: 62-64)

وتعد عبادة إنكي/ إيا من أقدم عبادات بلاد الرافدين, وكانت عبادته منتشرة في معظم المدن الرافدينيّة والخليج العربي. وحتى أنّ اختراع نافورات الماء كان تكريماً له. وفي ملحمة كلكامش, لا وجود لمردوك فيها لأنها قبل زمن حمورابي الذي بدأ فيه التوحيد لمردوك. ولهذا فنجد إيا فقط فهو الخالق الذي صنع الإنسان من الطين, ولهذا فيسمّى صانع الفخار للدلالة على صنعه للإنسان من الصلصال, وأسمه الضوء المشع والضوء "-يأتي الضوء في المندائيّة كثيراً للتعبير عن المعرفة", وكذلك أسمه "إيا باني" وتعني إيا الصانع. حيث أنّ إيا هو إله الإنسانيّة المُحب للبشر, وهو الذي كان ينقّي ويخلّص البشر من تسلّط الشياطين بكونه إله الماء العذب الذي يطهّر. فكان يسمّى الطبيب العظيم, وهو الذي يعرف كل الأسرار وهو سيد الأقدار للبشريّة وحكيم الآلهة.
(Jastrow, 1898: 135-142, 276)
(الشواف, 1997: 473)

وهنالك تحريف في ترجمة الأسماء السومريّة والبابليّة من قبل المستشرقين الذين قاموا حصراً بترجمة وتفسير تاريخ بلاد الرافدين. وعلى سبيل المثال فأن المستشرق رولنسون الذي كان يجيد اللّغات الرافدينيّة بنفسه, قد قام بلفظ الكلمة الأكديّة "إيا" بأنها "هيا" أو "هوا" وقام بتفسير معناها بأنه "الحياة" أو "الحيّة" بالعربيّة, وذلك بأنه يكون سيد الأنهار وسيد مياه العمق؛ وهذا يطابق تسمية ومعنى أسم الإله بالمندائيّة وهو "هيي" وتعني "الحيّ" والتي هي صيغة الجمع ل "هيا" تفخيماً لأسم الخالق.
(Rwolinson, 1862: 153)

وكذلك كان يلفظها الأستاذ جورج سمث "George Smith" الذي سبق رولنسون في كتابه تاريخ بابل.
(Smith, N.d: 9)

وهنا يمكن أن نسأل لماذا تمّ تحوير لفظ "هيا" إلى "إيا" من قبل المستشرقين الذين أتوا بعد ذلك, ولماذا تمّ التعتيم على معنى الكلمة وكان هنالك طمس لمعناها وبأنها تعني الحياة. وبدلاً عن ذلك أعطوه أسم إله الأعماق ومهارة الصنع والخلق, وهي بعض صفاته التي كانت تأتي ضمن لقبه نوديمود "Nudimmud" ولكنها لا تشير لمعنى أسمه. وربما كانت الأجندات السياسيّة التي تتعلّق بتهميش تاريخ بلاد الرافدين ومنه التاريخ المندائي ولكي لا تجري المطابقة بين "هيا" الأكديّة و "هيي" المندائيّة, ولكي لا تؤثر على القصص العبريّة.

وعودة إلى موضوع الناصورائيين فكان يوجد ذكر لهم في نصوص تاريخيّة متعددة ومنها نقش رستم Naqsh-i-Rustam الموجود في إيران, والذي يعود للفترات قبل الميلاد ولكن آخر تحديث جرى عليه يعود إلى سنة 275م وفيه يكتب الكاهن الزرادشتي كارتير بأنه قضى على جميع الأديان الأخرى في بلاد فارس وبأنه قد جعل معابد النار الزرادشتية مزدهرة فيها. وكتب عن المجموعات الغير زرادشتيّة والتي قام بالقضاء عليها. فيذكر المسيحيين ويذكر الناصورائيين "Nasoraye" أي أنه يفرّق بينهم كمجموعتين دينيتين مختلفتين.
(Yamauchi, 1983: 125)

وأنّ جميع السكّان الذين كانوا في مدن بلاد الرافدين خلال الفتح الإسلامي لبلاد السواد التي هي التسمية الأقدم للعراق, فكانوا على أديان الصابئة والمسيحيّة والمانوية واليهودية. مع ملاحظة بأن العراق الحالي هو أصغر من بلاد الرافدين التاريخيّة.

وأمّا السكّان الذين كانوا في مدن الفرس فكانوا من الزرادشتيين فقط, وربما كان لديهم مجتمع يهودي, ولكن لم توجد في مدنهم أيّة ديانات أخرى مثل ديانات بلاد السواد. ولأن الملك الفارسي بتوجيه من الكهنة الزرادشتيين كان قد قضى على جميع تلك الأديان.

وأصبحت الزرادشتيّة هي الدين الرسمي في الأراضي الفارسيّة. وهذا ما ذكره كبير الكهنة الزرادشتيين كارتير في النقش الموجود في كعبة زرادشت.

(Sprengling, 1953: 51)

ولهذا فأنه وبعد الاحتلال الفارسي الساساني لمدن مملكة ميسان وباقي الأراضي الرافدينيّة خلال الربع الأول من القرن الثالث الميلادي, فقد أصبح هنالك اختلاف ديني بينهم وبين الزرادشتيين الفرس. ولأن السكّان في بلاد الرافدين كانوا على أديان المسيحيّة والصابئيّة واليهوديّة والمانويّة, ولم يكن فيهم زرادشتي أو مزدكي.

والمزدكيّة هي النسخة الفارسيّة المأخوذة عن المانويّة.

(مطر, 2008: 107)

علماً بأن حدود مملكة ميسان كانت من شيراز والأهواز شرقاً إلى شوشتر وديزفول شمالاً بالإضافة لمدن الجنوب العراقي من البصرة وميسان والناصريّة وجزيرة فيلكة والكويت جنوباً وصولاً إلى الكوت والمدائن شمالاً. وقد وُجدت الآثار المندائيّة في جميع تلك المناطق ويوجد أيضاً توثيق عن سكن الصابئة هناك.

الغنوصيّة والنصوص المندائيّة

النصوص المندائيّة لم توضع على شكل كتب منذ البدايّة ولا كانت من عصر واحد؛ وإنما هي عبارة عن دواوين متعددة بينها فروقات زمنيّة تصل لآلاف السنين. وخلال تلك الفترات وللحفاظ على المخطوطات المكتوبة على ورق البردي من التلف وبقائها للأجيال القادمة؛ فكانت تجرى عليها عمليات إعادة نَسخ من قبل الطبقة الناصورائيّة. وخلال عمليات إعادة النَسخ في الأزمان القديمة, وفي أحيان قليلة كانت تتم إضافة بعض الملاحظات أو تحديثات قليلة للأحداث المهمّة جداً والتي كانت تحدث من عصر لآخر, وكان من المهم ذكرها للأجيال القادمة.

ومن البحث في النصوص المندائيّة نجد بعض النصوص المتفرّقة والتي كانت تحذّر من الفِرق الدينيّة في بدايات المسيحيّة. وتلك الفِرق كانت قد أخذت العرفان الناصورائي وحوّلته لكي يناسب عقيدتها الدينيّة الجديدة. وأن هذه العقيدة الدينية الجديدة والفِرق الدينيّة الأخرى التي تأثرت بالمسيحيّة بضغط الرومان العسكري, هي التي يتم وصفها بالغنوصيّة من قبل المُستشرقين التابعين للمؤسسات الدينيّة الصهيونية. ولكن من التعمّق في الفلسفة المندائيّة نجد بأنها على النقيض من تلك الفِرق ومن فلسفتها ولا تتفق معها. ففي الفترة التي سبقت ظهور المسيحيّة, كانت الأغلبيّة من الناس في بلاد الرافدين يتبعون الدين الصابئي المندائي والذي هو استمرار للديانات البابليّة والآشوريّة ومدارسها المتعددة.

فيذكر الباحث وعالم الآشوريات هنري لايارد أوستن (1817-1894) Henry Layard Austen في كتابه نينوى وبقاياها بأن الدين الآشوري في بداياته كان صابئيّاً نقياً:-

”على ضوء دراسة المُكتشفات الآشوريّة هُنالك تمييز يُمكن مُلاحظته بين الدين الآشوري في مراحله المُبكّرة والأخيرة، رُبما بسبب الفساد الذي حلّ تدريجياً على اللاهوت الآشوري. فقد كان الدين الآشوري صابئيّاً نقياً في مراحله الأولى، وقد كانت الأجسام السماويّة يتم تَعظيمها بكونها من سِمات الآلهة العُليا. ومن العصور السَحيقة لهذه العبادة الفطريّة، وهُنالك أدلّة وافرة على كونها قد نشأت لدى سكّان السهول الآشوريّة. ويوجد لدينا شهادة موحّدة حول التأريخ المُقدّس والمُدنّس وهي قد أخذت العلامة المثاليّة الكاملة، حيثُ أنه (الدين الصابئي) يُعتبر أقدم نظام ديني وسَبَقَ حتى المصريين.“

وبعد ذلك يستمر بالشرح حول الموضوع فيقول بأنه مدين إلى أحد عُلماء التاريخ بهذا الإقرار وهو:

”لا يوجد شك في كون الصابئيّة هي دين الكلدان والآشوريين في مراحل ديانتهم المُبكّرة.“

(Layard, 1849: 439-440)

وكذلك كتب عالم الآشوريات سَيس أرشيبالد هنري في القرن التاسع عشر والذي كان يشغل وظيفة أستاذ في جامعة أوكسفورد وكاهن في كنيسة إنكلترا بنفس الوقت فيقول في كتابه: "في بداية القرن (القرن 19)، كان الكتّاب المتخصصون في الشرق القديم مولعين بالتوسع في شرح نظام الصابئة العقائدي الذي اعتقدوا أنه كان الشكل السائد للدين في غرب آسيا. وكان يُعتقد أن عبادة النجوم هي المرحلة البدائية للديانة الشرقية، وقد استُغلّت الإشارة إليها في سفر أيوب كدليل على قِدَم هذا السفر. وقد حوّل دوبوي جميع أشكال الإيمان البشري إلى رموز فلكية، وذهب السير ويليام دروموند في الاتجاه نفسه. واعتبرت السلطات العليا أن الكواكب والنجوم هي الآلهة الأولى للوثنيين، حقيقة لا جدال فيها. وكان يُعتقد أن سهول شنعار هي الموطن الأول لعبادة النجوم أو الصابئيّة. وقد اشتهر علم الفلك والتنجيم في بابل حتى لدى المؤلفين اليونانيين واللاتينيين، وكان العلماء يميلون إلى اعتبار رعاة الكلدانيين أول من رصدوا السماء."

ثم يضيف في مكان آخر: "أنّ صابئة حران في القرون الأولى للمسيحية لم يكونوا آخر بقاء لإيمان بدائي وإنما آخر صدى لعلم الفلك الكهنوتي البابلي. ولأن معرفته كانت تتطلّب دراسة علوم الفلك ولهذا فكانت حكراً على الطبقات المتعلمة. وقد نشأ في بلاط سركون الأكدي أولاً ولكن اكتماله ربما تم خلال عصر حمورابي."

(Sayce; 1887: 396-402)

ونلاحظ من النص السابق بأن البروفسور سَيس رغم كونه أستاذاً للآشوريات؛ ولكنه كان يستشهد أكاديمياً بكتب اليهود الدينيّة من سفر أيوب إلى وصفه لبلاد سومر بالتسمية العبريّة فيسميها سهول شنعار, وكذلك فيستشهد بباقي المفاهيم العبرانية في بحثه وباتهامهم للدين الصابئي بأنه وثني بسبب وجود الاعتبارات لعلم الفلك وللأجرام السماويّة. مما يدل على تأثره بالرواية الدينية العبرانية التي كانت هي أساس معرفة المستشرقين في القرن التاسع عشر وما قبله عن بلاد الرافدين. بينما نعلم بكرههم الشديد لبلاد الرافدين وحقدهم التاريخي عليها. ولهذا فلا يمكن الأخذ بقصص التوراة أو بالمستشرقين ذوي الإيديولوجيّة والمرجعيّة الصهيونيّة كمصدر محايد لمعرفة أديان بلاد الرافدين وفلسفاتها.

وهذا الطرح هو ما يقول به كبار الباحثين في التاريخ ومنهم طه باقر. فيذكر بأن تطبيق أصول النقد التأريخي على أخبار التوراة الخاصّة ببلاد الرافدين هو أمر ألزامي. وكذلك بوجوب النظر بعين الاعتبار إلى تعصّب مدوني التوراة وتحيّزهم والتشهير بأعدائهم ملوك بابل وآشور.

(باقر, 2009: 124)

ولكن الذي يهمنا مما ذكره البروفسور سَيس هو بأن الإجماع لدى العلماء في القرن التاسع عشر كان باتجاه كون الدين الصابئي هو دين البابليين وأبناء عمهم الآشوريين. ولم تتغير تلك الفكرة لدى الباحثين إلا مع صعود بريطانيا الاستعماريّة في بدايات القرن العشرين ومحاولتها لفرض الفكر الصهيوني وروايته الدينيّة وكأنها من المسلّمات التاريخية والتي حاولوا من خلالها جعل الدين الصابئي المندائي تابعاً أو منشقاً عن الدين اليهودي أو المسيحي. وقد كنت قد بينت على عجالة بطلان تلك النظرية الغربية التي تقول بالأصل اليهودي للمندائيين.

(Al-Jader, RtP, 2024: 966-968)

وأمّا بالنسبة للباحثين المسلمين القدامى فأغلبيتهم كانوا قد وضعوا الصابئة بأنهم أقدم الأديان وبأنهم أمتداد لسكان بلاد الرافدين ومن هؤلاء: البيروني الذي كتب بقِدم المندائيّة على المسيحيّة واليهوديّة وذلك بأنهم اتباع هرمس.

(البيروني, بدون تاريخ: 408)

وكذلك كتب ابن النديم في كتابه "الفهرست" بأن الصابئة هم أقدم الأمم. وأيضاً القاضي أبي القاسم الأندلسي في كتابه "طبقات الأمم", وأبن حزم الظّاهري الأندلسي, والمؤرّخ إسماعيل أبي الفداء فقال: "أمة السريان هي أقدم الأمم وكلام آدم وبنيه بالسرياني وملتهم هي ملة الصابئين ويذكرون انهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس ولهم كتاب يعزونه إلى شيث ويسمونه صحف شيث يذكر في محاسن الأخلاق مثل الصدق والشجاعة والتعصب للغريب وما أشبه ذلك ويأمر به ويذكر الرذائل ويأمر باجتنابها وللصابئين عبادات منها سبع صلوات منهن خمس توافق صلوات المسلمين والسادسة صلاة الضحى والسابعة صلاة يكون وقتها في تمام الساعة السادسة من الليل وصلاتهم كصلاة المسلمين من النية وأن لا يخلطها المصلي بشيء من غيرها.."

(أبي الفداء, بدون تاريخ: 81-82)

وياقوت الحموي الذي قال عن الصابئة بأنهم ملّة يصل عمقها إلى شيث بن آدم, وأبن قيم الجوزيّة الذي قال بأن الصابئة هي أمّة كبيرة من الأمم الكبار. وهو ينقل ويؤكد على ما ذهب إليه الشهرستاني بأن الصابئة هو أقدم الأديان على وجه الدهر والغالب في الدنيا.

(أبن قيّم الجوزيّة, بدون تاريخ: 1008, 1015)

وأبن الوردي قال بقدم الصابئة فأرجعهم إلى شيث وهرمس, والفرحاني الذي قال "بأن الصابئة لعلهم أصحاب أقدم ديانة موحّدة عرفتها البشريّة", والعقاد كان قد ذكر في كتابه "المحقق من أمرهم أنهم يرجعون إلى أصل قديم, لأن استقلالهم باللغة الدينية والكتابة الأبجدية لم ينشأ في عصر حديث".

(العقاد, 2012: 85)

ومؤرخون كثر غير هؤلاء من المسلمين والمستشرقين كانوا يؤكدون بأن الدين الصابئي المندائي هو دين بلاد الرافدين قبل المسيحيّة.

ونعود إلى موضوع الفلسفة الغنوصيّة التي يصفون بها الفِرق المسيحيّة في القرون الأولى للميلاد. فأنّ فلسفة الدين المسيحي نفسها وتعاليمها, هي مأخوذة من فلسفات بلاد الرافدين وأديانها. فأبقت تلك الفِرق التي ظهرت في بدايات المسيحيّة على طقوس العرفان الناصورائي للوصول إلى معرفة الفيض الإلهي الذي يحل على الأنقياء من البشر. ولهذا فكانوا قد أخذوا نفس النصوص والتعاليم والطقوس مع إجراء التحويرات اللازمة لتناسب العقيدة الجديدة. ومنها تقديس يوم الأحد, وتناول الخبز والماء المقدّس, وكذلك طقوس

الصباغة في الماء الجاري والتي كانت موجود في أديان سومر ثم في بابل وآشور واستمرارها مع المندائيين وهم الذين يجرونها باسم الحيّ العظيم المتفرّد. ولكنهم قاموا بتغييرها إلى طقس التعميد الذي يجرى باسم المسيح بدلاً عن ذلك. ولا تزال توجد في الكنائس القديمة مظاهر الطقوس المسيحيّة القائمة على التعميد الكامل في الماء بما يشبه طقس الصباغة المندائيّة. وكمثال على تلك الكنائس القديمة هي كنيسة آيا صوفيا في إسطنبول المبنيّة عام 537م على أنقاض كنيسة بيزنطية أقدم.

حوض التعميد في كنيسة آيا صوفيا والجرار الفخارية التي كانوا يجلبون بها الماء من النهر.
تصوير سنان الجادر

وأمّا عن كيفيّة دخول المسيحيّة لبلاد الرافدين وانتشارها هناك في بدايات الميلاد, فيكفي أن نستشهد بأحد النصوص المندائيّة لنعرف حقيقة شعور السكّان حول ذلك. ولأن القوّة العسكرية الرومانية كانت سيوفها موجّهة نحو كُل من لا يعترف بالدين المسيحي الرسمي في جميع مُستعمراتها. فيقول النص للمندائيين المُجبرين على الخضوع للمسيحيّة الرومانيّة, بأن لا يخافوا من هؤلاء حتى لو قتلوهم ولأن نشماثاتهم أو أنفسهم سوف تذهب إلى عالم النور, وهو أصل مبدأ الشهادة أي أنهم لم يغيروا شهادتهم بالحيّ العظيم.

-" لا تؤمنوا به.

إن عذبكم وقتل بعضكم فلا تخافوا.

فعندما يقتل أجسادكم فستكون أنفسكم في عالم النور.

لذا فلا تخافوا ولا ترتعبوا ولا ترهبوا المسيحيين الرومان الكاذبين." الكنزا ربا اليمين

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة، الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ رام بختيار قطانا عام (1560). النسخة الأصلية محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (ج).

Source: gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits.Sabéen 1

ولمن يحب أن يقارن هذه الترجمة مع ترجمة ليدزبارسكي فهي في المصدر.

(Lidzbarsky, 1925: 49)

وأمّا الصابئة الذين لم يكونوا بهذه القوّة ولم يستطيعوا الذهاب للموت في سبيل عدم تغيير عقيدتهم للمسيحيّة, فيوجد نص آخر يقول لهم بأن لا يغيروا إيمانهم وأن يبقوا مؤمنين بالحيّ العظيم, وأن يسايروهم في لسانهم فقط وهو مبدأ التَقية. فيقول لهم النص:

-"إذا عذّبكم واضطهدكم فقولوا له نحن على دينك.

ولكن في قلوبكم لا تعتنقوه.

ولا تنقطعوا عن تعاليم ربّكم ملك النور السامي" الكنزا ربا

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (د).

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

ولمن يحب أن يقارن هذه الترجمة مع ترجمة ليدزبارسكي فهي في المصدر.

(Lidzbarski, 1925: 29)

أنّ قصّة السيد المسيح كما ترد في النصوص المندائيّة تقول بأنه كان تلميذاً ناصورائياً علّمه وكرّسه المُعلّم يهانا أو يحيى بن زكريا وجعله رجل دين مندائي, ولكنه بعد ذلك قام بتغيير النصوص والطقوس والتعاليم لتناسب الدين المسيحي الجديد الذي بشّر به.

-"وعندما كان يهانا في مكانه ذلك في أورشلام.

وكان يتّخذ اليردنا ليصبغ الناس هناك.

أتى عيسى المسيح بمركبته, وأصطبغ بصباغة يهانا وتعلّم من حكمته.

وبعد ذلك تحوّل عن تعاليم يهانا, وغيّر صباغة اليردنا, وترك كلام العَهد" الكنزا ربا

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (هـ).

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

ولمن يحب أن يقارن هذه الترجمة مع ترجمة ليدزبارسكي فهي في المصدر.

(Lidzbarski, 1925: 51)

وقد أشارت دراور في كتابها الصابئة المندائيون إلى هذا الموضوع, وبأن بحوثها في المراجع المندائية تُبيّن عنهم بأن عيسى المسيح كان ناصورائيّاً ولكنه أنشق عن المندائيَة, وقام بتغيير الطقوس والتعاليم التي تعلّمها من يهانا فتقول "عيسى بالنسبة للاهوتيين الصابئين "ناصورائي" أيضاً, إلا أنه خرج على الدين وقاد الناس إلى دين آخر وباح بالعقائد الباطنية وجعل الدين أكثر يسراً .. باتخاذها الماء غير الجاري للتعميد, وبعزوبة الرهبان والراهبات".

(Drower, 1937: 3)

ومثل قصّة السيد المسيح كانت قصّة النبي البابلي ماني وانشقاقه عن المندائيّة, والتي ظهرت لاحقاً في بلاد بابل في القرن الثالث الميلادي فانبثقت الديانة المانويّة التبشيريّة, وحيث أنها تبنّت كامل الفلسفة المندائيّة فنَسخت الكتب المندائيّة جميعها. والتي وصلنا منها في عصرنا البعض من مخطوطات توماس المكتشفة عام 1930 وبعض مخطوطات نجع حمادي المُكتشفة عام 1945 وكِلا المجموعتين وجدتا في مصر, حيث يؤكد الباحث السويدي سودربيرغ الذي درس تلك المخطوطات بلغتها القبطيّة بأن المانويّة تنسخ بصورة مباشرة من الكتب المندائيّة.

(Säve-Söderbergh, 1949: 2, 162)

ولأن ماني كان رجل دين مندائي وأنشقّ لاحقاً ليكوّن الدين المانوي الجديد. ونستنتج من دراسة ومُطابقة النصوص المانويّة بأنها مُقتبسة بصورة أساسيّة من النصوص المندائيّة, ولهذا فهي فلسفة تابعة لها. وهذا رغم أن ماني كان قد أجرى التغييرات اللازمة على تلك النصوص المندائيّة التي تعلّمها عندما كان كاهناً مندائياً, لكي تكون مقبولة ضمن سعيه لجعل دينه تبشيري عالمي ولتناسب مفاهيم عصره الذي كان في القرن الثالث الميلادي. وفي ذلك العصر كانت بلاد الرافدين خاضعة لاحتلال الفرس الساسانيين.

وقد قمت بالبحث بهذا الموضوع بالتفصيل مع مقارنة بعض النصوص المقدّسة المانويّة والمندائيّة, كما وأرفقت العديد من المصادر التاريخيّة لتؤكد جميعها خروج ماني وفلسفته المانويّة من المندائيّة. كما في البحث المُرفق.

(Al-Jader, RtP, 2024: 933-979)

وفي منتصف القرن العشرين أزداد استخدام مصطلح الغنوصيّة, وجرى جمع الدين المندائي تحت هذا الاسم مع عدد من الفِرق المكتشفة حديثاً والتابعة للفلسفة اليهوديّة (الأسينيين والحسح). ففي سنة 1947 كانت إسرائيل قد أعلنت عن اكتشافها لمخطوطات قديمة في كهف بمنطقة قمران في فلسطين غرب البحر الميت، وأطلق على تلك المخطوطات اسم مخطوطات البحر الميت أو مخطوطات قمران. ولكن ما أثار الشكوك حول تلك المخطوطات هو بأن إعلانها تزامن مع تأسيس إسرائيل، وربما كان ذلك لإضفاء الشرعية على ذلك الاحتلال من خلال تقديم مخطوطات دينيّة كأدلة على الوجود اليهودي في فلسطين وآثارهم هناك.

وقد كانت مخطوطات قمران التي أعلنوا عنها تحتوي على إشارات لشخصيات من التقاليد والحضارات الرافدينيّة القديمة، وتستعير قدراً كبيراً من الفلسفات الدينيّة المختلفة والتي تشبه عبادات بلاد الرافدين. ومن ثمّ يتم استخدام تلك الإشارات لإرجاع الفلسفات القديمة إلى أصول وانتماءات يهودية. فتصبح الفلسفة الدينية اليهودية كأنها كانت المصدر الرئيسي الذي انبثقت منه معظم الفلسفات القديمة والأديان التوحيدية. بالإضافة إلى ذلك، فهنالك أجزاء من تلك المخطوطات كانت تُشيد بالفلسفة المسيحية والروايات التوراتية، وقد دفع هذا بعض المسيحيين الأميركيين الأثرياء إلى شراء أجزاء من تلك المخطوطات التي تتحدث عن السيد المسيح بمئات الملايين من الدولارات. وقد أسّسوا من أجلها متحفًا كاملاً يسمى متحف الكتاب المقدس في واشنطن. ومع ذلك، فقد ثَبت مؤخرًا بأن كل تلك الأجزاء من مخطوطات قمران التي كانت معروضة في متحف الكتاب المقدس بأنها مزوّرة، حيث كُتبت خلال القرن العشرين على جلود من أحذية قديمة تعود لعصر الامبراطورية الرومانية.

(BBC, 2020)

(Katz, 2020)

(Holmes, 2020)

وبينما يَزعم بعض أتباع تلك المخطوطات بأن الأجزاء المتعلّقة بالمسيح فقط هي المزورة, والتي تم بيعها لمتحف الكتاب المقدس في واشنطن، في حين لا تزال المجموعة الأكبر من مخطوطات قمران في متحف إسرائيل في القدس. ولكن من المعروف في علم الآثار بأن وجود أي قطع مزوّرة داخل نفس المجموعة المُكتشفة من القطع الأثرية يجعل كل تلك القِطع مشبوهة.

في الواقع، لقد ذهبوا بعيداً في تلك المخطوطات إلى حد وضع خيوط صغيرة تربط حتى ملوك بابل العظماء باليهوديّة. وعلى سبيل المثال، كانت إحدى المقاطع في المجموعة تتحدث عن صلاة منسوبة إلى نابونائيد أو نبونيدوس كما يسميه المستشرقون الغربيون والذي هو آخر ملوك بابل، في محاولة للادعاء لاحقًا أن هؤلاء الملوك كانوا يهودًا أو أن اليهود ينحدرون من سلالاتهم.
(ساكز , 1979: 179)

حتى أنهم كانوا قد نَسَبوا تسمية الناصورائيين Nasoraians / Nasoraeans المرتبطة بالسلالات الكهنوتية المندائية القديمة، إلى طائفة يهودية مزعومة ضمن تلك المخطوطات، وأطلقوا عليها اسم النزاريين Nazoreans / Nazaraeans لخلق تشابه لغوي مع تسمية الناصريين أو الناصورائيين في المصطلحات الإنجليزية والغربية.

وبما أن السيد المسيح كان يعرّف نفسه بأنه الناصري، فقد باءت محاولاتهم لربطه بقرية الناصرة بالفشل، نظرًا لأنها تأسست في القرن الثالث الميلادي. بينما من خلال هذا اللقب، كان السيد المسيح يربط نفسه بفلسفة الناصورائيين.

حيث يقول الباحث "فراس السواح" نقلًا عن هـ. سبنسر لويس الذي هو من مؤرخي الحركات السريانية العرفانية شارحاً خلفية يسوع الثقافية: "ليتم ما أوحي إلى الأنبياء فقالوا إنه يدعى ناصريّاً، ولكن كل الوقائع تشير إلى أن المدينة التي نعرفها اليوم باسم الناصرة، لم تكن موجودة خلال حياة يسوع، فنصوص العهد القديم لم تأتِ على ذكرها، ولم ترد في أخبار المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي عاش في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد، ووصف بالتفصيل خريطة فلسطين، كما لم ترد في أي وثيقة تاريخية أو طبوغرافية أخرى، ولاسيما في الوثائق الرومانية، ويبدو أن المدينة قد أُحدثت فيما بعد، وأُطلق عليها اسمها، بسبب الحاجة إلى وجود مثل هذا الموقع لتفسير ما ورد في إنجيل متَّي، وقد تم ذلك في القرن الثالث الميلادي عندما اختيرت مزرعة صغيرة على مبعدة من بحيرة طبرية أو بحر الجليل كما دعيت أحياناً، لتحمل اسماً قريباً من الاسم الكتابي، لتكون موقعاً لناصرة إنجيل متَّي، ومسرحاً لطفولة يسوع".

ويتابع سبنسر لويس فيقول بخصوص تسمية الناصري "وفي الواقع فإن صفة ناصري لم تكن في ذلك الوقت تعني شخصاً من مدينة الناصرة, وإنما شخصاً ينتمي إلى شيعة سرانية غير يهودية تدعى شيعة الناصرين Nazarene".
(السواح، 2004: 95-96)

يُذكر بأن الإعلان عن مخطوطات البحر الميت الاسرائيليّة قد أتى بعد سنتين فقط من أكتشاف مخطوطات نجع حمادي في مصر عام 1945 والتي وجدت فيها العديد من الأناجيل التي أسمتها الكنيسة أبوكريفا وبمعنى أنها أناجيل غير معترف بها. فيما كانت محتوياتها تعطي الأدلّة وتعيد الفلسفة المانويّة وحتى المسيحيّة إلى المندائيّة وليس إلى اليهوديّة. وهذا رغماً عن حجزهم لتلك المخطوطات في الولايات المتحدة ورفضهم لنشرها لمدة أكثر من 31 عاماً حتى فعلوا ذلك تحت ضغوط الباحثين العالميين وأعطوها حصراً لباحثين صهاينة ليقوموا بترجمتها ومنهم (القس اليسوعي جورج مكراي George W MacRae وجيمس روبنسون James M. Robinson الذي كان ينتمي إلى الحركة الدينيّة البرتستانتية المشيخيّة Presbyterian).
(Al-Jader, RtP, 2024: 934, 947)

ومن المؤسف أن العديد من الجامعات الغربية اعتمدت على تدريس مخطوطات قمران أو البحر الميت كجزء من برامجها الأكاديمية منذ عقود. وإذا ما تشكلّت لجنة عالمية للتحقيق في عملية تزوير مخطوطات قمران, فأنها ستكون من أكبر محاولات تزوير التاريخ العالمي والتلاعب بالروايات الدينية على الإطلاق. علاوة على ذلك، فقد كانت جزءًا من أجندة أوسع نطاقاً للاستيلاء على تاريخ بلاد الرافدين، ونهب مكتشفاته الفلسفية والحضارية.

الاختلافات الفلسفيّة والطقسيّة بين المندائيّة والحركات الغنوصيّة

تتشابه الفلسفة المندائيّة مع الأفكار الغنوصيّة لبلاد الرافدين ولأنها انبثقت منها, فنجد فكرة وجود المُخلّص الذي يساعد الأرواح أو الأنفس في عروجها. وهو نَفسه يلعب دور البطولة في أدوار مختلفة لدحر الشر وقوى الظلام. وتلك الفكرة حول وجود المُخلّص كانت موجودة منذ زمن السومريين وقصّة تمّوز الراعي, كما تمّت الإشارة لذلك مسبقاً.

ولكن تفاصيل الغنوصيّة المندائيّة تختلف عن فلسفة الأديان والحركات الغنوصيّة الأحدث والتي تَشمل الفِرق المسيحيّة البدائيّة والمانويّة. وسوف نأتي لنُبرز أهم الاختلافات بالفلسفة بين المندائيّة والأديان الغنوصيّة. وسنستبعد المقارنة مع الطوائف اليهوديّة المزعومة والتي ذُكرت في مخطوطات البحر الميت مثل الأسينيين والحسح, وذلك لفقدان المصداقيّة بأصالة المصدر الوحيد الذي كانت قد ذُكرت به.

* عدم أعتراف المندائيين بألوهيّة المسيح.

تعترف الفِرق الغنوصية المسيحيّة جميعها بالمسيح كمخلّص وكذلك بكونه إله متجسّد. بينما لا تعترف الناصورائية سوى بالحيُ العظيم إلاها واحداً لا يدرك كنهه البشر فهو فوق مداركهم لا يرونه ولا يعرفونه سوى بالإلهام والحَدَسْ.

فنجد بعض النصوص المندائيّة التي كانت تُشير إلى رفض التحوّل للمسيحيّة ورفض الطقوس المسيحيّة والتي كانت قد فُرضت عبادتها على السكّان في بلاد الرافدين بدعم الرومان العسكري. وتلك النصوص التحذيريّة كانت موجّهة نحو المندائيين, ولأن بعض أتباعهم بالترهيب قد بدأوا يتبعون الدين المسيحي.

-''ثُمّ تكلّم منداادهيي وقال لجميع نشماثا الأناس الناصورائيين الذين تمّ رميهم في الظلام, والذين كانوا ينادوني وقد وُسِموا بوَسم الحيّ العظيم, ولكنهم انحرفوا عن طريق الحي, ونزلوا إلى اليردنا باسم الروهة والمسيح, فمن سَوفَ يَغفر لهم خطاياهُم؟

ولكن النشماثا التي ذهبت مع ظلام الروهة والمسيح, ولكنها لم ترتسم برسم الروهة والمسيح, وأعطت الصَدقة وعملت الصالحات في العالم, فسيُغفر لها وحسب أعمالها'' الكنزا ربا

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (و).

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

ولمن يحب أن يقارن هذه الترجمة مع ترجمة ليدزبارسكي فهي في المصدر.

(Lidzbarski, 1925: 255)

أن تسمية الروهة في النص السابق, تشير إلى الإلهة البابليّة عشتار التي تمثّل شخصيّة كوكب الزُهرة ولها أسم آخر في النصوص المندائيّة وهو روهة اد قدشا وتعني الروح القدس. وهم يعتقدون بأنها تغير شكلها ومفاهيمها وفلسفتها لإغواء الناس وخلق ديانات جديدة بهدف جعلهم ينحرفون عن عبادة الله الواحد. ولمزيد من البحث عن ذلك الذهاب للمصدر.

(Al-Jader, RtP, 2024: 948-949)

ونأخذ نصوصاً أخرى حول تغيير الطقوس المندائيّة لتناسب العقيدة المسيحيّة, من قبل الفِرق المسيحيّة في بدايات الميلاد.

-"أنا هو الإله الحقّ, وأرسلني أبي إلى هنا.

أنا هو الرسول الأول وأنا الأخير.

أنا هو الأب وأنا الابن وأنا الروح القدس ..

.. ويعمّدهم بالماء المقطوع ويُبعدهم عن الصِباغة الحيّة.

ويعمّدهم باسم الأب والابن والروح القُدس.

ويُبعدهم عن الصِبغة الحيّة في يَردنا الماء الحيّ.

التي اصطَبَغت أنتَ بها يا آدم." الكنزا ربا

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (ز).

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

ولمن يحب أن يقارن هذه الترجمة مع ترجمة ليدزبارسكي فهي في المصدر.

(Lidzbarski, 1925: 50-51)

-''وتحرّف طقوس المتفرّد (الحيّ العظيم), وتَحفر في الأرض حوضاً, وتَسرق الماء من اليردنا وتغليه بالنار ثُم تصبّه في الحوض, وتعمّد به الرجال والنساء وهُم عُراة وتُعطيهم منه ليشربوا, وتذكُر أسم الموت عليهم وتُعمّدهم باسم الأب والابن والروح القُدس, وتذكُر عليهم أسم المسيح''. الكنزا ربا

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (ح).

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

ولمن يحب أن يقارن هذه الترجمة مع ترجمة ليدزبارسكي فهي في المصدر.

(Lidzbarski, 1925: 227)

وهذا النص يشرح فقرات طقس التعميد المسيحي لدى المجموعات المسيحيّة الغنوصيّة بعد الميلاد, والتي تَعترف بألوهيّة المسيح. فتقوم بتغيير طقوس الصباغة في الماء الجاري التي كانت موجودة لدى شعب بلاد الرافدين, واتّبعها المندائيون منذ زمن النبي آدم. وللتنويه حول هذا الموضوع فأن المانوية لم تكن تعترف بالمسيح أيضاً.

(Al-Jader, RtP, 2024: 939)

* التوحيد المندائي وثنويّة الغنوصيّة.

أنّ فلسفة الحركات الدينيّة الغنوصية هي ثنويّة. أي بأنها تستند على تعريف أساسي بوجود إلهين مُتصارعين منذ الأزل أحدهما للخير والأخرى للشر, وبأن الكون قائم على أتحاد هذين الإلهين الذين تكوّن منهما الكون وهما بصراع دائم.

ولكن هذه الفلسفة بعيدة عن المندائيّة, فلو عُدنا إلى النصوص المندائيّة فسوف نجد بأن الله الحيّ العظيم, هو القوّة الأحاديّة والمركزيّة في الكون والتي لم يكن ولن يكون لها نظير أو شريك, وكذلك بأن الخَلق للكون وللكائنات كان قد تمّ بأمره وبإرادته.

فهو الذي كان قبل كل شيء, وهو الذي خلق كل شيء ولم يكن من إله آخر يشاركه أعماله, لا من قوى الظلام, ولا حتى من الملائكة والذين هم أيضاً يُخلقون بأمره لينفذوا تعاليمه ووصاياه. كما وأنّ النّور أقدم من الظلام الذي يرمز للشر. وعالم الظلام يوصف بأنه عالم فاني وعالم للفانين, أي ينفي عنه صفة الألوهية الخالدة وهذا هو جوهر مبدأ التوحيد.

فحسب الفلسفة والنصوص المندائيّة فأن الله هو الواحد الأحد, وهو الذي أنبعث من ذاته ولم يكن له من شريك. وأن وجود نصوص مندائيّة تتحدّث عن عالم الظلام الذي يعادي عالم النور, هو ما دفع بعض المستشرقين إلى القول بأنّ الثنوية موجودة في النصوص المندائيّة. ولكن من التعمّق في تلك النصوص فنجد بأن الثنويّة في المندائيّة هي تدور حول الإنسان نفسه وليس حول خالقه, فهي تكون عن الخير والشر و النور والظلام وتتحدّث عن الصراع الذي يدور داخل فكر الإنسان, والذي هو حُر تماماً في أختياراته وبالتالي يُقرر إن كان سوف يسلك طريق النور أو طريق الظلام. أن الباحثة دراور كانت هي أحد الأسباب التي دعت بعض الباحثين للقول بأن الثنويّة موجودة في المندائيّة, ولأنها كَتبت عن هذا الموضوع بصورة فيها بعض اللّبس ربما لعدم معرفتها الكاملة بالفلسفة المندائيّة, ففي النهاية فهي مستشرقة معلوماتها الأساسيّة من خارج المندائيّة وجزئيّاً من النصوص المندائيّة.

وتوجد العديد من النصوص في الكتب المندائيّة التي تؤكد على وحدانيّة الخالق على العكس من الديانات الغنوصيّة, التي تجعل له شريك ظلامي يعاديه ويساويه بالقدرة.

وفيما يلي أحد تلك النصوص:

-"قبل كل الأزمان,كان هو الملكُ منذ الأزل.

لا حدود لأسماءه في فمنا, ولا نهاية لأوصافه في شفاهنا.

هو الديّان الذي لا كَذب فيه.

مُتقنٌ كرسيّه العظيم السامي الذي لا يفنى إلى الأبد...

... ملكُ النور حاكم العالم. لا زوال لمُلكه. الملكُ الهادي الموقّر.

...ليس له أبٌ قبله، ولم يكن له ولدٌ بَعده.

لا أخ له يُقاسمه، ولا شريك لهُ يُنازعه." الكنزا ربا

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (ط).

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

ولمن يحب أن يقارن هذه الترجمة مع ترجمة ليدزبارسكي أو ترجمة بغداد فهما في المصادر.

(الكنزا ربا ترجمة بغداد, 2000: اليمين 3)

(Lidzbarski, 1925: 9)

والنص السابق يُبين أصل فلسفة التوحيد المندائيّة وبكون الحيّ العظيم هو الإله الأزلي الأبدي والوحيد, وهو خالق الكون بمفرده. وأنّ هذا التصوّر للإله هو متطابق مع التصور الإسلامي في القرآن الكريم.

أمّا جوهر الموضوع حول ماهيّة عالم الظلام الذي يذكر بكثرة في النصوص المندائيّة, فيمكن تبيانه في هذا النص:

-""هيبل زيوا يتحدّث" - فتحدّثت وقُلت له:

السلامُ عليكَ (شلام إلاخ) يا ملك الظلام البِكر كرون جبل اللّحم الكبير ..

..

فتحدّث هو وقال لي:

أنتم جبابرة ونحن ضُعفاء.

أنتم آلهة ونحن بشر.

أنتم عُظماء ونحن صِغار" الكنزا ربا

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (ي).

Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

ولمن يحب أن يقارن هذه الترجمة مع ترجمة ليدزبارسكي فهي في المصدر.

(Lidzbarski, 1925: 157)

وهذا المقطع هو من أحد نصوص الكنزا ربا التي تتحدّث عن نزول المُخلّص جبرائيل الرسول الذي هو هيبل زيوا الذي أرسله الحيّ العظيم لدحر قوى الظلام. ومن الحديث يتم توضيح ماهيّة قوى الشرّ المقصودة, وبأنها تعني عالم البشر والمتسلطون الأشرار هم ملوك عالم الظلام, وبنفس الوقت فيتم تمييزهم عن الملائكة الذين يطلق عليهم البشر تسمية الآلهة. وحسب النصوص المندائيّة فأن الملاك المُخلّص الذي سيأتي في نهاية الزمان لمساعدة البشر على تخطي الشر العظيم المنتشر في العالم فهو الملاك أنُش أثرا.

ولكن توجد نصوص مندائيّة أخرى تتحدّث عن كائنات شريرة أخرى مثل الجن والشياطين والمَرَدَة والعفاريت والليلياثا وغيرها من المخلوقات التي يتم التعوّذ منها في المندائيّة. وهي نفسها التي كان يتم التعوّذ منها من قبل البابليين والسومريين! ويقول البروفسور ياموجي بأن حماية الحوامل والأطفال الصغار من الليلياثا كانت من الممارسات الشائعة في بلاد الرافدين, وأنّ النصوص المندائيّة المكتوبة على ألواح الرصاص فيها تعاويذ مشابهة للتعاويذ الآشوريّة لابارتو. وكذلك يتحدث عن القحوف النذرية المندائيّة والتي كانت تستخدم كفخاخ للمخلوقات الظلامية فتُدفن في مداخل البيوت, فيقول بأن القحوف المندائيّة هي سابقة على العبريّة ولأن القحوف العبريّة تذكر مفاهيم يهوديّة قليلة ولا توجد بها سوى بعض الكلمات الخاصّة بهم بينما تستعير القسم الأكبر من التعاويذ من بلاد الرافدين, بينما تكون القحوف المندائيّة استمراراً لقحوف بلاد الرافدين ولا يوجد بها أي من المفاهيم اليهوديّة.

(Yamauchi, 1983: 138)

ومن خلال وجود تلك المخلوقات الظلاميّة في النصوص المندائيّة, فكان يتم وضعها في موضع أضعف من البشر حسب الفلسفة. وهي تتبع تأثيرات الكواكب السبعة -الشبياهي- التي تُسلطها على البشر لغرض الغواية أو التخويف. فيكون تدخّلها لأحداث الفعل بصورة غير مُباشرة, وإنما عن طريق التأثير الفكري والنفسي على الإنسان. كما وأنها ليست آلهة حسب الفلسفة المندائيّة, وإنما هي من المخلوقات الفانية.

* الملاك الساقط الغنوصي والخليقة.

تعتقد الفِرق الغنوصية بأن ملاكاً ساقطاً هو الذي خلق العالم بخطأ منه في حين أنّ الإله لم يكُن يُريد خَلقه. بينما تسلّم الفلسفة الناصورائية بأن الكون وكُل المخلوقات التي فيه قد تمّ خلقها بإرادة الحيّ العظيم الذي هو يخلق كل شيء بكلمته.

أنّ الخَلق بالكَلمة هو مُطابق للتصورات السومريّة والبابليّة كما في قصّة الخليقة البابليّة الانوما ايليش أو عندما في الأعالي, عندما كانت لدى مردوك الإله البابلي الأعظم القدرة على الخلق بالكلمة, وأنّ أي شيء ينطق به فمه يصبح حقيقة ولا يتغير ما يقوله.

وهذا أحد النصوص من الكنزا ربا الذي يُبين بأن الحيُّ العظيم هو الذي خَلَقَ العالم بإرادته وبكلمته:

-"مُبارَكٌ ومسَبَّحٌ أنت أيّها الربّ ملكَ النُّور السَّامي .. منذ الأزل وإلى أبَد الآبدينْ.
بكَلِمتك خُلِقَ كلُّ شيء.
وخُلق أثري أمام ربّ العَظَمة.
أسمه هيبل زيوا, ويُدعى جبرائيل الرسول.
وبمشيئة ملك النور, ومن نوره وضيائه دعاني له .. وقال لي:
أذهب لعالم الظلام المملوء بالشر, كله مملوءٌ بالشر ..
.. وقال لي: أدحر الشرّ والأسرار التي تكوّن منها.
كثّف الأرض ونجّد السماء وضع الكواكب فيها.
أعط الشمسَ ضياءً والقمرَ إتقاناً والكواكبَ لمعاناً.
هَب الماءَ بهجةً والنارَ رفقةً.
كوّن الأثمار والأعناب والأشجار التي ستزدهر بالعالم.
ولتحيا الحيوانات والماشيّة والأسماك والطيور, وكلّ صِنف يكون من ذكرٍ وأنثى.
ولتكن لخدمة آدم وسُلالته.
وليكن ذكر وأنثى ولتكن أسمائهم آدم وحوّاء." الكنزا ربا

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة، الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ رام بختيار قطانا عام (1560). النسخة الأصلية محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (ك).

Source: gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen1

ولمن يحب أن يقارن هذه الترجمة مع ترجمة ليدزبارسكي وترجمة بغداد فهي في المصادر.

(الكنزا ربا ترجمة بغداد, 2000: اليمين 8-9)

(Lidzbarski, 1925: 14-15)

كما وتوجد نصوص أخرى حول فلسفة الخلق المندائيّة, والتي كان الحيّ العظيم قد أوكل الملاك بثاهيل ليقوم بها, والذي هو أيضاً يُدعى جبرائيل في النصوص المندائيّة, مثل الملاك هيبل زيوا. وهي تسمية تعني رجل الإله أو رسول الإله. أي أنه رسولاً موكلاً من الله لأداء الأعمال والمهمات. وهذا ينفي عنه صفة الملاك الساقط المتمرّد والذي قام بعملية الخليقة حسب أهوائه كما يؤمن أصحاب المذاهب الغنوصيّة.

أنّ بثاهيل كان قد استعان بالكواكب الشريرة لكي تساعده ببعض مهامه التي أوكلها له الحيّ العظيم. ولكن هذا لا يعني بأنه قد قام بعملية خلق الجنس البشري نفسها بالضد من إرادة الإله كما تقول الغنوصية. كما وأن الحيّ العظيم كان قد غَضَبَ على بثاهيل لأنه استعان بالكواكب في أجزاء من مهامه.

فتقول النصوص بأن بثاهيل بعد أن أكمل تجهيز الأرض للخليقة وتكوين النبات والحيوان, تمّ توكيله بعمل جَسد آدم وحوّاء, وهنا سَمَح له الحيّ العظيم بأن يأخذ المساعدة من الكواكب السَبعة لصناعة جَسد آدم. وقام بهذا العمل, ولكن آدم لم يكن واعياً ولم تدبّ فيه الحياة ولهذا فعاد إلى أبيه أو الملاك الأعلى منه لكي يُساعده بإكمال المهمّة التي أوكلوها له. فجلب منداادهيي النشمثة ووضعها في جَسد آدم, والنشمثة هي النَفس النقيّة الآتية من عالم النور وهي المكوّن الإلهي في الإنسان والكنز المأخوذ من كنوز الحيّ العظيم, وعندها فقط دبّت الحياة فيه. وبمعنى أنّ عمليّة خلق آدم وبعد ذلك عملية وضع الحياة فيه, لم تكن لولا أنّ الحيّ العظيم أراد ذلك.

وفيما يلي أحد النصوص عن هذه القصّة:

-""هيبل زيوا يتحدّث": خرجتُ من جميعِ تلك العَوالم, وغَلّقتُ ورائي الأسوار, بعدَ أن وضَعتُهم كُلّاً في مَدار. ثُمَّ أتاني أمرُ الله. قال اصنَعْ آدم. أمَرتُ السَّبعةَ أن يُعينوا بثاهيل على صُنعِ الجَسد.. وصَعِدتُ إلى كنوزِ الحياةِ المعظَّمة. أبلَغتُ أبي منداهيّي, فجاء بنشمثا, وألقاها على جسدِ آدم, فدَبَّتْ فيهِ الحياة. وبأمرِ الحيِّ صُنِعَتْ له حوّاءُ زوجةً ليتكاثَرَ العالم, وَيستمرَّ غرسُهُم فيه. حتى إذا انتَهت أعمارُهُم صَعِدَ كلٌّ منهم لأبيه. الشُّكرُ للحيّ. الشُّكر لمنداهيّي, ولابنِهِ هيبل الذي أقامَ نظامَ الحياة".

(الكنزا ربا ترجمة بغداد, 2000: اليمين 116)

* المخلّص المَعرفي والمخلّص الإلهي.

المندائيّة هي دين معرفي, أي أنها تُبيّن بأن المَعرفة هي المُخلّص فهي تزكّي صاحبها للوصول إلى عالم النور. ولأن الجَهل يكون سبباً للخطيئة التي هي الظلام الذي يقود صاحبه للعقاب ولما يسمى بالموت الثاني وهو تعبير مندائي يستخدم حول عدم استحقاق النفس أو النشمثا للوصول إلى عالم النور بعد أن يحين أجلها في الجسد الفاني. وأمّا الحياة فهي للعارفين والمُدركين. وهذا يختلف عن تفسير الديانات الثنويّة التي تُرجع الظلام إلى قوّة قائمة بذاتها مثل قوّة النور.

حيث أن الفِرق المسيحيّة, تتحدّث فلسفتها عن كون المسيح بأنه مخلّص للبشر من خطاياهم وأنّ شفاعة المسيح هي الأساس بغفران الخطايا وتَزكية المسيحي. ولا يُمكن للمسيحي المؤمن أن يتساوى مع مرتبة المسيح مهما فعل ولأنه يكون أبن الإله. وكذلك فأن الشرّ يكون سببه الشيطان الذي يقوم بالأعمال الشريرة ويوقع الناس في المشاكل مهما كانت توجهاتهم.

بينما تتحدّث المندائيّة بأن المُختارين الصالحين هُم معلّمون فقط, وتكون مهمّتهم بأن يُرشدوا الأنفس المتطلّعة إلى كيفية الوصول للنور عبر التعاليم والمعرفة الحقّة. ولكن متى أخذ الإنسان طريق الحق والمَعرفة فلا يعود هناك أختلاف بينه وبين هؤلاء المختارين؛ وإنما يُصبحون مُتطابقين بالإيمان والثواب. كما وأنّ الشرّ حسب المندائيّة سببه الغواية التي تقوم بها الكواكب السبعة -الشبياهي والمخلوقات الظلاميّة التي تتبعها وهي على أنواع متعددة ومنها الشياطين, والتي تسعى لكي تَحرف البَشر عن المَعرفة وعن الإيمان بالحيّ العظيم الواحد الأحد. ولكن متى أمتلك الإنسان المَعرفة والإيمان الصحيح فهذا سوف يُعطيه القوّة لكي يُبعد نفسه عن تأثيرات الكواكب والمخلوقات الشريرة؛ فيُحافظ على نقائه ويَصل لعالم النور. لأن ملائكة عالم النور سوف يتقبّلونه لكونه نقي ويمتلك المَعرفة والفضيلة وهذه من الصفات الأساسيّة للملائكة الطاهرة. ويقول أحد النصوص في كتاب الكنزا ربا:

-"الصَّالحُ بصَلاحِهِ يَصعَدُ إلى بَلَدِ النُّور

والشّرّيرُ بِشَرّهِ يَقِفُ على أبوابِ الظّلام" الكنزا ربا

(الكنزا ربا ترجمة بغداد, 2000: اليمين 62)
وهذا النَص يُبين بأن كُل إنسان هو مُخلّصٌ لنفسه بصلاحه.

وفيما يلي نصوص مندائيّة أُخرى حول أهميّة المَعرفة كوسيلة للخلاص:

-"الذي لا يمتلك المعرفة ولا الحِكمة, فقرّبوه منكم واعطوه من حكمتكم لكي لا يقع فريسة للغواية.. ..
الذين لم يَسعوا لامتلاك المَعرفة ويَتركون أنفسهم لرغبات الجَسد فسوف يَسقطون.
والذين يَعملون بمشيئة الشّيطان فسوفَ يَذهبون مَعه للنار.
أمّا الذي يعمل بمشيئة مَلك النور السامي, فلن يسقط في هذا العالم.
وعندما يَحين أجَله فسوف يُرسل له ملك النور من ملائكة النور ليرفعوه.
فيُضيء سيماءه ويكون مُتقناً, وملائكة النور تُعطيه من ضيائها وتُلبسه من بريقها.
ويَضع أكليل النصر برأسه فيكون مُشابهاً لملائكة النور, ويُعطونه من تسابيحهم الممجّدة التي لا تَبطل.
فيقيم في سحابات النور يَسجد ويُسبّح لملك النور السامي." الكنزا ربا

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (ل).
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4
ولمن يحب أن يقارن هذه الترجمة مع ترجمة ليدزبارسكي فهي في المصدر.
(Lidzbarski, 1925: 41-42)

ونأخذ نص آخر من كتاب دراشا اد ملكي أو حديث الملائكة:
-" أوضحتُ للترميدي وقُلتُ لهم:
بأن الكَرمَة التي تَحمل الثِمار سوف ترتفع.
والتي لا تَحمل هُنا سوف تُقطع.
الذي يبحث ويتعلّم سيرتفع مُتطلعاً لموطن النور.
والذي لا يبحث ولا يتعلم سوف يسقُط في بحر النهاية العظيم (بحر سوف)" دراشا اد ملكي

من كتاب دراشا اد ملكي, الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ آدم زهرن كنيانة قطانا عام (1630). النسخة الأصلية محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (م)
Source: gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits.Sabéen 8

وهذا النَص من كتاب دراشا اد ملكي أو حديث الملائكة هو واضح بمعناه أيضاً, وبأن الذي لا يسعى للعلم والمعرفة فأنه سيَسقط في بحر النهاية. فلن يكون له ضوء ولا نور يُساعدانه على مواجهة التحديات والاختبارات والغواية التي تمارسها الكواكب على البشر. مع ملاحظة بأن بحر النهاية أو "يمّا اد سوف" كما يُسمى بالمندائيّة, هو بحر سماوي يجب على النَفس أن تعبره خلال عروجها نحو السماء. وهذا هو نفس التصوّر البابلي حول البحر السماوي الذي يُحيط بالعالم. وكذلك فأن تسمية يمّا اد سوف أو بحر سوف هي موجودة في النصوص العبريّة, ولكن تمّت ترجمتها من قبل باحثيهم على أنه يعني البحر الأحمر.

* الغنوصيّة وتحريم الزواج والإنجاب.
أنّ جميع الحركات الدينيّة الغنوصيّة لها فلسفة وتعاليم تقوم على إنكار الذات, عبر أجراءات وطقوس تفرض عليهم الجوع والرهبنة وعدم الزواج وعدم الإنجاب, وبنفس الوقت فهي تسمح بالعلاقات الغير مشروعة. بينما تنفر المندائيّة من هذه الأعمال فهي دين يقوم بتطمين حاجات الجَسد مع وضع حدود وضوابط له, وكذلك ترفض الزنا وعدم الطهارة بصورة شديدة.

حيث تُشدد الفلسفة المندائيّة على الزواج والإنجاب وتربط حتى الصعود إلى عالم النور بالذين يُنجبون, وهذه الأفكار هي من الأفكار السومريّة والبابليّة أيضاً, والتي تقول بأن المتوفي الذي يكون لديه الكثير من الأبناء فهو سوف يكون مرتاحاً في الحياة الأخرى. وكما في رواية إنكيدو الذي كان يتحدّث لكلكامش عن مشاهداته في العالم السفلي عندما مات وذهب إلى هناك, فأخبره كيف كان يشعر الأشخاص الذين في العالم السُفلي وحسب عدد أبنائهم فكلما زاد عدد أبناء المُتوفي فهو سوف يكون سعيداً, وصولاً إلى الذي كان لديه سبعة أبناء فهو سوف يكون جالساً في حضرة الآلهة ويستمع للموسيقى.

(الشوّاف، 1997: 424-425)

وهكذا فنجد العديد من النصوص المندائيّة التي تُشدد على الزواج والإنجاب وهذا على العكس من الديانات والفِرق الغنوصيّة التي كانت تحرّم الزواج والإنجاب.

-"أُنظروا الأشجار القائمة على ضِفّة الفُرات العظيم, وهيَ تَشربُ الماء وتُثمر الثِمار ولا تنتهي.

أُنظروا النَهر الجاف الذي جَفّت مياهه, فيَبِست وماتت الأشجار التي على ضِفافه.

هكذا ستَتَيَبّس وتَموت نشماثا العزّاب والعازبات, الرِجال الذينَ لا يُريدون النِساء, والنِساء اللواتي لا يردنَ الرِجال. فعندما يخرجون من أجسادهم سيسكنون بالغمامات المُعتمة..

..

ثُمّ نُناديكم ونوضّح لكم:
في العالم الذين أنتم موجودون به, أعملوا أعراساً لأبنائكم الذكور ولبناتكُم الإناث أيضاً.
وآمنوا بربّكم مَلك النور السامي, ولأن هذا العالم يَنتهي ويَزول." الكنزا ربا

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (ن).
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

ولمن يحب أن يقارن هذه الترجمة مع ترجمة ليدزبارسكي وترجمة بغداد فهي في المصادر.
(الكنزا ربا ترجمة بغداد, 2000: اليمين 39)

(Lidzbarski, 1925: 61-62)
ومن ناحية أخرى فأنّ الخطايا الجنسيّة خارج الزواج الشرعي والتي هي الزِنا, فتكون محرّمة بشدّة في الفلسفة المندائيّة. وتوجد النصوص الكثيرة عن ذلك في الكتب الدينيّة المندائيّة والتي تتوعّد الذين يمارسون الزنا بأن نشماثاتهم أو أنفسهم سوف تموت.

-"تكلّم مندادهيي وأوضَحَ للمُختارين الصالحين..

أنَ نشماثا الرجال الزُناة والنساء الزانيات..
وكذلك نشماثا الذين عَملوا أعمال الشياطين القبيحة ستفنى جميعها" الكنزا ربا

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, الترجمة للعربية من قبل سنان الجادر. نُسخ الكتاب الأصلي يدوياً من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس. النص الأصلي مع المرفقات (س).
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

ولمن يحب أن يقارن هذه الترجمة مع ترجمة ليدزبارسكي فهي في المصدر.

(Lidzbarski, 1925: 256)
وكذلك توجد نصوص أخرى تمنع رجال الدين حتى من عمل الطقوس الدينيّة للزُناة. وعلى العكس من الطوائف الغنوصيّة التي كانت معروفة بعلاقاتها الجنسيّة الغير مشروعة وخارج الزواج. وذلك لأنهم كانوا يحرّمون الزواج على أتباعهم وبالمقابل فكانوا يُبيحون العلاقات الغير مشروعة, لكي يشجعوا دخول أناس جدد ضمن فِرقهم الدينيّة فتكون مثل الترغيب لهؤلاء لكي يعتنقوا تلك العقيدة. وكما نقرأ في إنجيل فيليب الذي يقول "بأنهم لآلئ لا يمكن لأي طين أو تلوّث من السلوك الأرضي أن يدنسها"

(Yamauchi, 1970: 37)

وبسبب تلك الاختلافات الجوهريّة بالفلسفة بين المندائيين والفِرق الغنوصيّة. فقد أستخدم بعض الباحثين المُستقلين ومنهم الأستاذ ياموجي, موضوع أهميّة الطهارة الجسديّة والالتزام الأخلاقي الشديد لدى المندائيين ورفضهم الكُلي للخطيئة والزِنا وكذلك تشديدهم على الزواج والإنجاب, لكي يرفضوا نظرية كون المندائيين من الطوائف الغنوصيّة.

(Yamauchi, 1970: 34-37)

ويضيف ياموجي ناقداً لكتاب دراور "أن التلوّثات والطهارة المقصودة في النصوص المندائيّة لا تخص الجنس وحده وإنما تتضمن تلوثات الطعام الخطأ أو فوضى ملابس الكاهن خلال الطقوس وأشياء كثيرة غير ذلك, وكل هذا يُبين بأن الحذر من التلوّث الجنسي هو جزء فقط من الاهتمام الدقيق للغاية بالنقاء الطقسي. وهذا يتناقض بشكل صارخ مع أكثر الطوائف الغنوصيّة المعروفة قدسيّة"

(Yamauchi, 1970: 44)

الخاتمة

تتمحور الفلسفة الغنوصية في جوهرها حول فكرة وجود مخلّص إلهي يساعد في هداية الأرواح ومساندتها على الصعود إلى العوالم السماوية. وتشير الأدلة التاريخية إلى أن جذور هذه الفكرة تعود إلى بلاد الرافدين، في الحقب السومرية والبابلية وقصّة تمّوز. في هذا الإطار تُعدّ المندائية امتدادًا لتلك التقاليد الفكرية والدينية، إذ لا تزال تحتفظ بمنظومة طقوس دينيّة خاصة بها تتطابق في تفاصيلها مع الطقوس الدينيّة المعروفة في العصر البابلي ولها نفس التفاصيل. وتتبوأ طبقة الناصورائيين القدامى في المندائية موقعًا مركزيًا، ويمكن مقاربة دورهم بدور الأنبياء في الديانات الأخرى من حيث كونهم وسيطًا لنقل الوحي والتعاليم والطقوس.

ورغم ادعاءات بعض المستشرقين المرتبطين بمؤسسات دينية غربية التي تصنّف المندائيّة ضمن الفرق الغنوصية المسيحية أو اليهودية؛ غير أن البحوث المحايدة تُشير إلى أن الفلسفة المندائية تتمتع بأصالة مستقلة ولم تنشأ كامتداد مباشر لفلسفة الفِرق المسيحية الغنوصيّة ولم تتأثر بها وإنما العكس هو الصحيح. ويستند هذا الاستنتاج إلى فروق جوهرية في الطقوس والمعتقدات بين الفلسفة المندائيّة وتلك الفِرق، وكذلك لكون الطقوس والمعرفة المندائيّة ذات قاعدة أوسع بالتعاليم والتفاصيل وهي أقدم بكثير بسبب كونها مرتبطة بصورة مباشرة بالطقوس والمعرفة البابليّة. ومن أمثلة أقتباس الطقوس المندائيّة الرافدينيّة من قبل الفِرق الغنوصيّة هو ما جرى لطقس الصباغة المندائي، الذي يعد طقسًا رافدينيًا عتيقًا ويعود للعصر السومري، إذ تم تكييفه في بعض السياقات الغنوصية المسيحية ليأخذ شكل التعميد بما يتلاءم مع عقائد تلك الفِرق. كما وتوجد فروق عقائدية أساسية أخرى: فالفرق الغنوصية المسيحية الأولى كانت جميعها تعترف بالمسيح وبألوهيته، بينما تقتصر المندائيّة على الإيمان بـالحيّ العظيم. وتتبنى الفِرق الغنوصية مبدأ ثنوية الآلهة، في حين ترفض المندائية وجود قوة ثانية مستقلة عن الحيّ العظيم الواحد الأحد. كذلك ترى الفِرق الغنوصية بأن خلق الإنسان قد تمّ بواسطة ملاك ساقط، أي بغير مشيئة الإله العليا، بينما تؤكد المندائية أن الله الحيّ العظيم هو خالق كل شيء، يخلق بكلمته ويُرسل الملائكة لتنفيذ مشيئته.

وفيما يتعلق بمسألة الخلاص، فتعتقد الفِرق الغنوصية بأن المسيح هو المخلّص وأن البشر لا يمكنهم بلوغ مستواه الإلهي، بينما تضع المندائية الخلاص في إطار المَعرفة الحقّة؛ فالفرد الذي يبلغ هذه المعرفة يوازي المختارين الذين نقلوا له تلك الحكمة. وعلى صعيد السلوك الطقسي والأخلاقي، تميل بعض الفرق الغنوصية إلى فرض ضوابط قهرية تشمل الصوم الطويل، الرهبنة، ورفض الزواج والإنجاب، مع تساهل أو قبول للعلاقات خارج إطار الزواج، في حين ترفض المندائيّة جميع تلك المُحددات وتُشدد على الزواج والإنجاب وتربط حتى الصعود لعالم النور بالذين يُنجبون، وبنفس الوقت فترفض بشدّة كل أشكال العلاقات خارج الزواج.

أخيرًا, تختلف الفلسفة والطقوس المندائية اختلافًا جوهريًا عن الفلسفة اليهودية. فبرغم وجود محاولات لربط الفلسفة المندائيّة مع بعض الأقوام اليهوديّة المزعومة من الذين كان لديهم طقوس تعميد (الأسينيين والحسح)، وتمّت معرفة وجود تلك الأقوام حديثاً من مصدر وحيد وهو مخطوطات قمران /البحر الميت المكتشفة عام 1947؛ فهذا الموضوع يفتقر إلى الأساس المتين. لا سيما بعد كشف متحف الكتاب المقدّس في أميركا بوجود التزوير في كامل أجزاء مخطوطات البحر الميت التي كانت تُعرض فيه, مما أدى إلى رفض أعتبارها في مقارنتنا بسبب التشكيك بأصالة المعلومات الواردة فيها وبوجد تلك الأقوام أو تعاليمها المشابهة من الأساس.

قائمة المراجع

1. ابن العبري. (1986). تاريخ الزمان. ترجمة إسحق أرملة. بيروت: دار المشرق.
2. ابن النديم، أبو الفرج المعروف بالوراق. (بدون تاريخ). الفهرست. تحقيق: رضا تجدّد.
3. أبن قيّم الجوزيّة, أبي عبد الله (بدون تاريخ): إغاثة اللّهفان في مصايد الشيطان, حققه محمد عزيز شمس, مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية, دار عالم الفوائد.
4. أبي الفِداء, عماد الدّين إسماعيل (بدون تاريخ): المختصر في أخبار البشر, الجزء الأول, الطبعة الأولى, المطبعة الحسينية المصرية.
5. باقر، طه. (1976). مقدمة في أدب العراق القديم. بغداد: مطبعة جامعة بغداد.
6. باقر، طه. (2009). مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول. بغداد: الوراق للنشر.
7. البيروني ابي الرَّيحان (بدون تاريخ): الآثارُ الباقية عَنِ القُرُون الخالية، همدان.
8. الجادر، سنان سامي. (2024). اللُّغة المندائيّة العربيّة القديمة. لارك, 16(2 pt1), 636 – 666.

https://doi.org/10.31185/lark.3427

9. الجادر
10. الجبوري، علي ياسين. (2009). قاموس اللغة الأكدية - العربية. أبوظبي: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث.
11. الذهبي، شمس الدين. (2003). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. المجلّد السادس. تحقيق: بشار عوّاد معروف. طبعة: دار الغرب الإسلامي.
12. حنون، نائل. (2007). حقيقة السومريين، ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية. دمشق: دار الزمان.

13. كتاب دراشا اد ملكي، نسخة الشيخ آدم زهرن كنيانة قطانا (1630). النسخة الأصلية محفوظة في مكتبة باريس.
Source: gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 8.
14. كتاب الكنزا ربا المندائيّة، نسخة الشيخ رام بختيار قطانا (1560). النسخة الأصلية محفوظة في مكتبة باريس.
Source: gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 1.
15. كتاب الكنزا ربا المندائيّة، نسخة الشيخ يهيى بهرام المندوي (1694). النسخة الأصلية محفوظة في مكتبة باريس.
Source: gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4.
16. كتاب الكنزا ربا. (2000). النسخة العربية. بغداد: مطبعة الديوان.
17. ودنغرين, جيو. (1985). ماني والمانويّة. Mani and Manichaeism. ترجمة سهيل زكّار. الطبعة الأولى. دار حسّان. دمشق.
18. المدني، محمد نمر. (2009). الصابئة المندائيون: العقيدة والتاريخ. سوريا: دار ومؤسسة رسلان للطباعة.
19. مطر، سليم. (2008). الذات الجريحة. مركز دراسات الأمة العراقية; دار الكلمة الحرة.
20. سباهي، عزيز. (1996). أصول الصابئة المندائيين. سوريا: منشورات المدى.
21. ساكز، هاري. (1979). عظمة بابل — The Greatness that was Babylon. ترجمة: عامر سليمان. الموصل: كلية الآداب، جامعة الموصل.
22. السواح، فراس. (2004). موقف يسوع من اليهودية: مقدمة في الغنوصية. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي للنشر.
23. السواح, فراس (2009): حوار في الغنوصية والمندائية, حاوره صباح مال الله. سوريا.
24. العقاد, عباس محمود (2012): إبراهيم أبو الأنبياء, مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
25. الشوّاف، قاسم. (1997). ديوان الأساطير: سومَر وأكّاد وآشور. الكتاب الرابع. بيروت: مطبعة دار الساقي.
26. Al-Jader, S. (2024). Revealing the parallels between the Nag Hammadi hymn "The Thunder: Perfect Mind" and the Mandaean scriptures. Lark Journal, pp. 933–979.
https://doi.org/10.31185/lark.3567
27. Al-Jader, Sinan. (2023). Al-Jader, Sinan. (2023). Reply to Mr. Häberl's letter, for the distortion of the translation of The Mandaean Book of John. Academia.edu
28. BBC. (2020). US museum Dead Sea Scroll collection found to be fakes.
29. Black, J., George, A., & Postgate, N. (2000). A Concise Dictionary of Akkadian. Wiesbaden: Harrassowitz Verlag.
30. Carmelita, P. F. Ignatio. (1652). Narratio Originis, Rituum, & Errorum Christianorum Sancti Ioannis. Romæ: Typis Sac. Cong. Prop. Fidei.
31. Corwin, Virginia. (1960). St. Ignatius and Christianity in Antioch. New Haven: Yale University Press.
32. Drower, E. S. (1937). The Mandaeans of Iraq and Iran: Their Cults, Customs, Magic, Legends, and Folklore. Oxford: Clarendon.
33. Holmes, Helen. (2020). Fake Dead Sea Scrolls Found at Museum of the Bible, Casting Doubt on Its Larger Collection.
34. Hooke, S. H. (1953). Babylonian and Assyrian Religion. London: Hutchinsons University Library.
35. Jastrow, Morris. (1898). The Religion of Babylonia and Assyria. USA: Ginn and Company.
36. Katz, Brigit. (2020). All of the Museum of the Bible's Dead Sea Scrolls Are Fake, Report Finds. Smithsonian Magazine.
37. Layard, Austen Henry. (1849). Nineveh and Its Remains. Vol. II. London.
38. Lidzbarski, Mark. (1925). Ginza Der Schatz. Leipzig: Vandenhoeck & Ruprecht.
39. Neill, Stephen. (1964). The Interpretation of the New Testament. London; New York: Oxford University Press.
40. Pallis, S. A. F. D. (1926). Mandaean Studies. London: H. Milford, Oxford University Press.

41. Rwolinson, George. (1862). Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World. Vol. I. London: John Murray.
42. Sayce, A. H. (1887). Lectures on the Origin and Growth of Religion: Ancient Babylonians. 4th ed. London: Williams and Norgate.
43. Segelberg, E. (1958). Masbutia: Studies in the Ritual of the Mandaean Baptism. Uppsala.
44. Smith, George. (n.d.). The History of Babylonia. Edited by A. H. Sayce. London: Society for Promoting Christian Knowledge.
45. Sprengling, Martin. (1953). Third Century Iran: Sapor and Kartir. Chicago: Oriental Institute, University of Chicago.
46. Säve-Söderbergh, Torgny. (1949). Studies in the Coptic Manichaean Psalmbook. Uppsala: Almqvist & Wiksells Boktryckeri.
47. Widengren, G. (1946). Mesopotamian Elements in Manichaeism. Uppsala.
48. Widengren, G. (1965). Mani and Manichaeism. Translated by Charles Kessler. London.
49. Widengren, G. (1968). Heavenly Enthronement andaptism: Studies in Mandaean Baptism. In Religions in Antiquity, ed. Jacob Neusner, Studies in the History of Religions, 14. Leiden: E. J. Brill.
50. Witzel, Maurus. (1918). Keilinschriftliche Studien. Leipzig: Harrassowitz.
51. Yamauchi, Edwin M. (1970). Gnostic Ethics and Mandaean Origins. Cambridge: Harvard University Press.
52. Yamauchi, Edwin M. (1983). Pre-Christian Gnosticism: A Survey of the Proposed Evidences. Grand Rapids: Baker Book House.
53. Zimmern, H. (1906). Das vermutlich babylonische Vorbild des Pehta und Mambuha der Mandaer. In Orientalische Studien Th. Nöldeke … gewidmet, Giessen, pp. 959–967.

Bibliography

1. Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Abu Abd Allah (n.d.). Ighathat al-lahfan fi maṣayid al-shayṭan, ed. Muḥammad A. Shams. Suleiman ibn Abd al-Aziz al-Rajihi Char. Foundation; Dar Alam al-Fawaid.
2. Abu al-Fida, Imad al-Din Ismail (n.d.). Al-Mukhtasar fi akhbar al-bashar, Vol. 1, 1st ed. Al-Matbaah al-Husayniyah al-Miṣriyah.
3. Al-Aqqad, Abbas Mahmud (2012). Ibrahim abu al-anbiya, Abraham, Father of the Prophets. Cairo: Hindawi Foundation for Education and Culture.
4. Baqir, Taha. (1976). Introduction to the Literature of Ancient Iraq [Muqaddima fi Adab al-Iraq al-Qadim]. Baghdad: University of Baghdad Press.
5. Baqir, Taha. (2009). Introduction to the History of Ancient Civilizations [Muqaddima fi Tarikh al-Hadarat al-Qadima], Vol. I. Baghdad: Al-Warraq Publishing.
6. BBC. (2020). US Museum Dead Sea Scroll Collection Found to Be Fakes.
7. Black, Jeremy; George, Andrew; Postgate, Nicholas. (2000). A Concise Dictionary of Akkadian. Wiesbaden: Harrassowitz Verlag.
8. Al-Biruni, Abu al-Rayhan (n.d.). Al-Athar al-baqiyah man al-qurun al-khaliyyah [The Remaining Signs of Past Centuries]. Hamadan.
9. Carmelita, P. F. Ignatio. (1652). Narratio Originis, Rituum, & Errorum Christianorum Sancti Ioannis. Romæ: Typis Sacrae Congregationis de Propaganda Fide.
10. Corwin, Virginia. (1960). St. Ignatius and Christianity in Antioch. New Haven: Yale University Press.
11. Drower, E. S. (1937). The Mandaeans of Iraq and Iran: Their Cults, Customs, Magic, Legends, and Folklore. Oxford: Clarendon Press.

12. Ibn al-Abbari. (1986). History of Time [Tarikh al-Zaman]. Translated by Ishaq Armalah. Beirut: Dar al-Mashriq.
13. Ibn al-Nadim, Abu al-Faraj al-Warraq. (n.d.). The Index [al-Fihrist]. Edited by Rida Tajaddud.
14. Al-Dhahabi, Shams al-Din. (2003). History of Islam and the Deaths of Notables and Eminent Figures [Tarikh al-Islam wa Wafayat al-Mashahir wa al-Aʿlam]. Vol. VI. Edited by Bashar Awwad Maʿruf. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami.
15. Hanoun, Nael. (2007). The Truth about the Sumerians, and Other Studies in Archaeology and Cuneiform Texts [Haqiqat al-Sumariyyin wa Dirasat Ukhra fi 'Ilm al-Athar wa al-Nusus al-Masamariyya]. Damascus: Dar al-Zaman.
16. Hooke, S. H. (1953). Babylonian and Assyrian Religion. London: Hutchinson University Library.
17. Holmes, Helen. (2020). Fake Dead Sea Scrolls Found at Museum of the Bible, Casting Doubt on Its Larger Collection.
18. Al-Jader, Sinan Sami. (2023). Reply to Mr. Häberl's Letter Regarding the Distortion of the Translation of The Mandaean Book of John. Academia.edu
19. Al-Jader, Sinan Sami. (2024). The Old Arabic Mandaic Language [Al-Lugha al-Manda'iyya al-'Arabiyya al-Qadima]. Lark, 16(2 pt1), 636–666.
https://doi.org/10.31185/lark.3427
20. Al-Jader, S. (2024). Revealing the Parallels between the Nag Hammadi Hymn 'The Thunder: Perfect Mind' and the Mandaean Scriptures. Lark Journal, 933–979. https://doi.org/10.31185/lark.3567
21. Al-Jader,
22. Jastrow, Morris. (1898). The Religion of Babylonia and Assyria. USA: Ginn and Company.
23. Al-Jubouri, Ali Yassin. (2009). Akkadian–Arabic Dictionary [Qamus al-Lugha al-Akadiyya - al-'Arabiyya]. Abu Dhabi: Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage.
24. Katz, Brigit. (2020). "All of the Museum of the Bible's Dead Sea Scrolls Are Fake, Report Finds." Smithsonian Magazine.
25. Kitab al-Ginza Rba, manuscript of Sheikh Ram Bakhtiar Qatana, (Mandaean Ginza Rba). (1560). Original manuscript preserved at Bibliothèque nationale de France.
Source: gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 1.
26. Kitab al-Ginza Rba, manuscript of Sheikh Yahya Bahram al-Mandu'i, (Mandaean Ginza Rba). (1694). Original manuscript preserved at Bibliothèque nationale de France.
Source: gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4.
27. Kitab al-Ginza Rba, Arabic edition. (2000). Baghdad: Diwan Press.
28. Kitab Drasha ad Malki, manuscript of Sheikh Adam Zahran Kniyāna Qatana. (1630). Original manuscript preserved at Bibliothèque nationale de France.
Source: gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 8.
29. Layard, Austen Henry. (1849). Nineveh and Its Remains. Vol. II. London.
30. Lidzbarski, Mark. (1925). Ginza der Schatz. Leipzig: Vandenhoeck & Ruprecht.
31. Al-Madani, Muhammad Nimer. (2009). The Mandaean Sabians: Doctrine and History [al-Sabiyya al-Manda'iyya: al-Aqida wa al-Tarikh]. Syria: Ruslan Publishing and Printing.
32. Widengren, Geo. (1985). Mani and Manichaeism. Trans. by S. Zakkar, 1st ed. Dar Hassan, Damascus.
33. Matar, Salim. (2008). The Wounded Self [al-Dhat al-Jarīha]. Center for Studies of the Iraqi Nation; Dar al-Kalima al-Hurra.

34. Neill, Stephen. (1964). The Interpretation of the New Testament. London; New York: Oxford University Press.
35. Pallis, S. A. F. D. (1926). Mandaean Studies. London: H. Milford, Oxford University Press.
36. Rawlinson, George. (1862). Five Great Monarchies of the Ancient Eastern World. Vol. I. London: John Murray.
37. Sayce, A. H. (1887). Lectures on the Origin and Growth of Religion: Ancient Babylonians. 4th ed. London: Williams and Norgate.
38. Sabahi, Aziz. (1996). Origins of the Mandaean Sabians [Usul al-Sabiyya al-Manda'iyya]. Syria: Al-Madā Publications.
39. Saks, Harry. (1979). The Greatness That Was Babylon [Athamat Babil]. Translated by Amer Suleiman. Mosul: College of Arts, University of Mosul.
40. Al-Sawah, Firas. (2004). Jesus' Attitude toward Judaism: An Introduction to Gnosticism [Mawqif Yasū‘ min al-Yahudiyya: Muqaddima fi al-Gnosisiyya]. United Kingdom: Hindawi Foundation.
41. Al-Sawah, Firas (2009). A Dialogue on Gnosticism and Mandaeism, interviewed by Sabah Malallah. Syria.
42. Al-Shawwaf, Qasim. (1997). Diwan of Myths: Sumer, Akkad and Assyria [Diwan al-Asatir: Sumer wa Akkad wa Ashur]. Vol. IV. Beirut: Dar al-Saqi Press.
43. Segelberg, E. (1958). Masbutia: Studies in the Ritual of the Mandaean Baptism. Uppsala.
44. Säve-Söderbergh, Torgny. (1949). Studies in the Coptic Manichaean Psalmbook. Uppsala: Almqvist & Wiksells Boktryckeri.
45. Smith, George. (n.d.). The History of Babylonia. Edited by A. H. Sayce. London: Society for Promoting Christian Knowledge.
46. Sprengling, Martin. (1953). Third Century Iran: Sapor and Kartir. Chicago: Oriental Institute, University of Chicago.
47. Widengren, Geo. (1946). Mesopotamian Elements in Manichaeism. Uppsala.
48. Widengren, Geo. (1965). Mani and Manichaeism. Translated by Charles Kessler. London.
49. Widengren, Geo. (1968). "Heavenly Enthronement and Baptism: Studies in Mandaean Baptism." In Religions in Antiquity, ed. Jacob Neusner, Studies in the History of Religions, vol. 14. Leiden: E. J. Brill.
50. Witzel, Maurus. (1918). Keilinschriftliche Studien. Leipzig: Harrassowitz.
51. Yamauchi, Edwin M. (1970). Gnostic Ethics and Mandaean Origins. Cambridge: Harvard University Press.
52. Yamauchi, Edwin M. (1983). Pre-Christian Gnosticism: A Survey of the Proposed Evidences. Grand Rapids: Baker Book House.
53. Zimmern, H. (1906). "Das vermutlich babylonische Vorbild des Pehta und Mambuha der Mandaer." In Orientalische Studien Th. Nöldeke … gewidmet, Giessen, pp. 959–967.

المرفقات للنصوص الأصليّة

المرفقات (أ)

المرفقات (ب)

ترجمة سنان الجادر

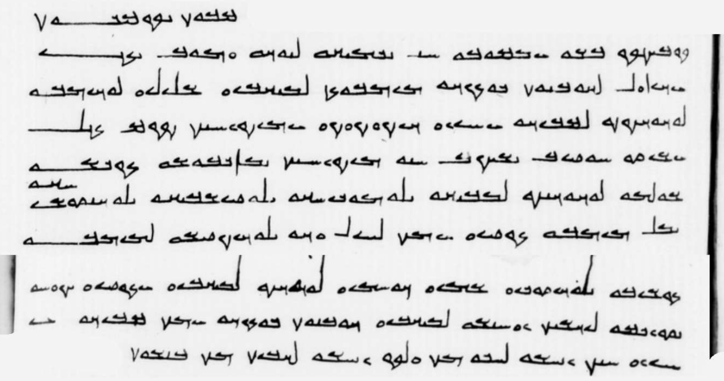

"السيماء العظيم ذو الوقار دعاني وأوصاني هو وهينته.
وقال لي: عندما تذهب إلى تاروان الطاهرة, لا تقُل قولك للأثري المُشوّشة.
ولا تُنادي مثل الحياة الثانية التي خَرَجَ منها كُل ماهو سيء وناقص وأنتشر منها الكَذب في العالم.
لا تُعلّمها عن التنوير والمعرفة والتسبيح والأقوال الخفيّة التي أتت من هُناك.
ولا تُلقي القول الكبير في الماء العكر.
لا تعطها للأثري التي ليس في طبعها السر والهدوء والسلام.
أعطها لأثريي تاروان الطاهرة الذين ناداهم الحيَ.
أعطها لواحد من ألف ولأثنين من عشرة آلاف."

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, نُسخت من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

المرفقات (ج)

غنوصيّة بلاد الرافدين المندائيّة

ترجمة
سنان الجادر

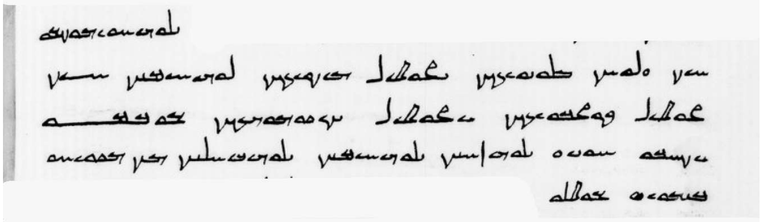

"لا تؤمنوا به.
إن عذبكم وقتل بعضكم فلا تخافوا.
فعندما يقتل أجسادكم فستكون أنفسكم في عالم النور.
لذا فلا تخافوا ولا ترتعبوا ولا ترهبوا المسيحيين الرومان الكاذبين."

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, نُسخة الشيخ رام بختيار قطانا عام 1560. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 1.

المرفقات (د)

ترجمة سنان الجادر

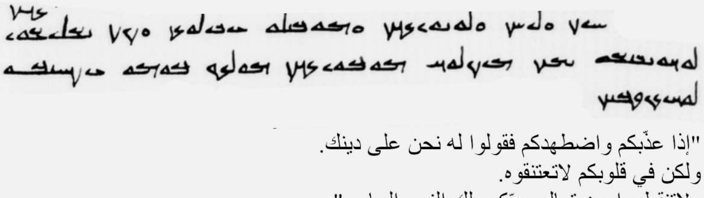

"إذا عذّبكم واضطهدكم فقولوا له نحن على دينك.
ولكن في قلوبكم لاتعتنقوه.
ولاتنقطعوا عن تعاليم ربّكم ملك النور السامي"

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, نُسخت من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

المرفقات (هـ)

ترجمة سنان الجادر

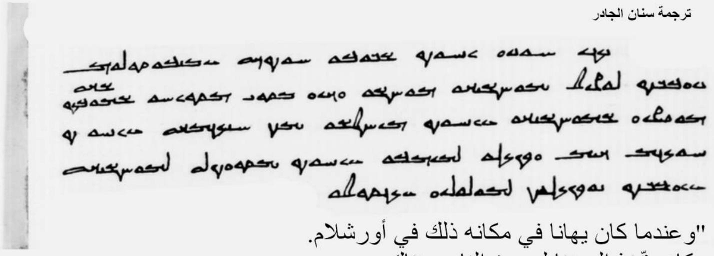

"وعندما كان يهانا في مكانه ذلك في أورشلام.
وكان يتّخذ اليردنا ليصبغ الناس هناك.
أتى عيسى المسيح بمركبته, وأصطبغ بصباغة يهانا وتعلّم من حكمته.
وبعد ذلك قام بتحريف تعاليم يهانا, وغيّر صباغة اليردنا, ونَقض كلام العَهد"

من كتاب الكنزا ربا المندائيَة, نُسخت من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليَة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

المرفقات (و)

ترجمة سنان الجادر

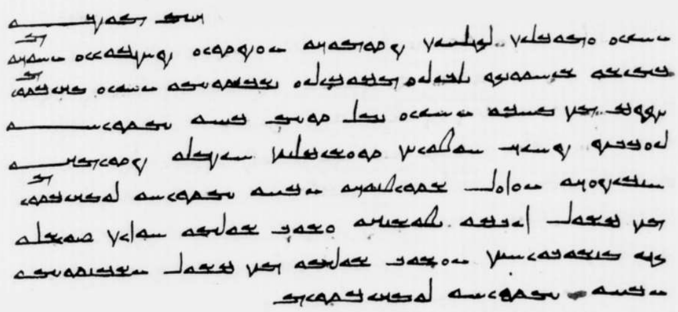

"ثُمّ تكلّم مندادهيي وقال لجميع نشماثا الناصورائيين الذين تمّ رميهم في الظلام, والذين كانوا ينادوني وقد وُسِموا بوَسم الحيّ العظيم, ولكنهم انحرفوا عن طريق الحي, ونزلوا إلى اليردنا باسم الروهة والمسيح, فمن سَوفَ يَغفر لهُم خطاياهُم؟
ولكن النشماثا التي ذهبت مع ظلام الروهة والمسيح, ولكنها لم ترتسم برسم الروهة والمسيح, وأعطت الصَدقة وعملت الصالحات في العالم, فسيُغفر لها وحسب أعمالها"

من كتاب الكنزا ربا المندائيَة, نُسخت من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليَة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

المرفقات (ز)

ترجمة سنان الجادر

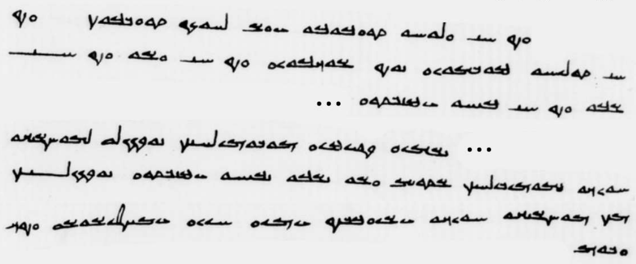

"أنا هو الإله الحقّ, وأرسلني أبي إلى هنا.
أنا هو الرسول الأول وأنا الأخير.
أنا هو الأب وأنا الابن وأنا الروح القدس ..
.. ويعمّدهم بالماء المقطوع ويُبعدهم عن الصِباغة الحيّة.
ويعمّدهم باسم الأب والابن والروح القُدس.
ويُبعدهم عن الصِبغة الحيّة في يَردنا الماء الحيّ.
التي اصطَبغت أنتَ بها يا آدم."

من كتاب الكنزا ربا المندائيَة, نُسخت من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليَة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

المرفقات (ح)

ترجمة سنان الجادر

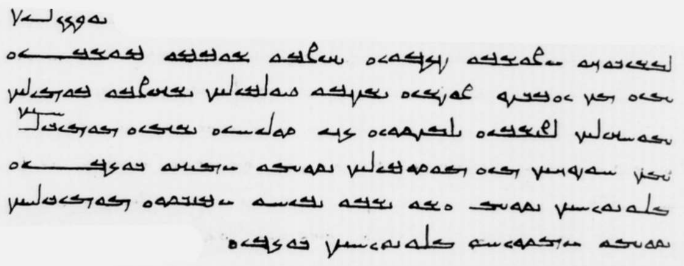

"وتحرّف طقوس المتفرّد, وتَحفر في الأرض حوضاً, وتَسرق الماء من اليردنا وتغليه بالنار ثُم تصبّه في الحوض, وتعمّد به الرجال والنساء وهُم عُراة وتُعطيهم منه ليشربوا, وتذكُر أسم الموت عليهم وتُعمّدهم باسم الأب والابن والروح القُدس, وتذكُر عليهم أسم المسيح."

من كتاب الكنزا ربا المندائيَة, نُسخت من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليَة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

المرفقات (ط)

ترجمة سنان الجادر

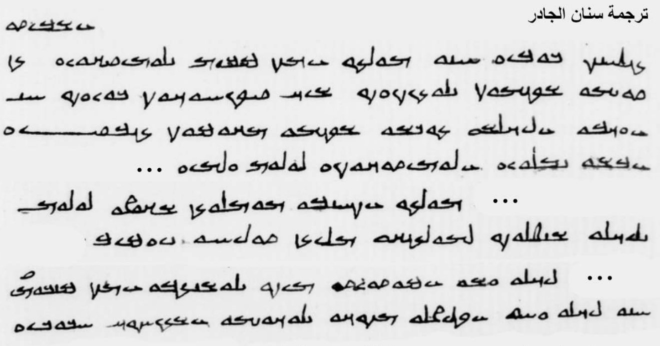

"قبل كل الأزمان, كان هو الملكُ منذ الأزل.
لا حدود لأسماءه في فمنا, ولا نهاية لأوصافه في شفاهنا.
هو الديّان الذي لا كَذب فيه.
مُتقنٌ كرسيّه العظيم السامي الذي لا يفنى إلى الأبد...
... ملكُ النور حاكم العالم. لا زوال لمُلكه. الملكُ الهادي الموقر.
... ليس له أبٌ قبله، ولم يكن له ولدٌ بَعده.
لا أخ له يُقاسمه، ولا شريك لهُ يُنازعه."

من كتاب الكنزا ربا المندائيَة, نُسخت من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليَة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

المرفقات (ي)

ترجمة سنان الجادر

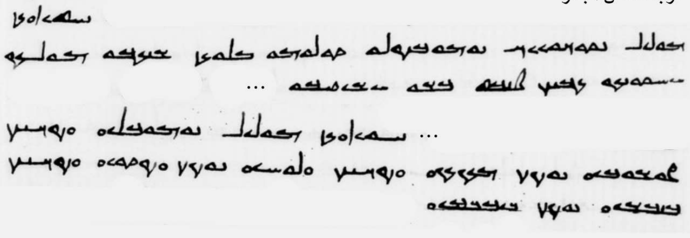

""هيبل زيوا يتحدّث" - فتحدّثت وقُلت له:
السلامُ عليكَ (شلام إلاخ) يا ملك الظلام البِكر كرون جبل اللّحم الكبير...
.. فتحدّث هو وقال لي:
أنتم جبابرة ونحن ضُعفاء.
أنتم آلهة ونحن بشر.
أنتم عُظماء ونحن صِغار"

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, نُسخت من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام **1694**. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

المرفقات (ك)

ترجمة سنان الجادر

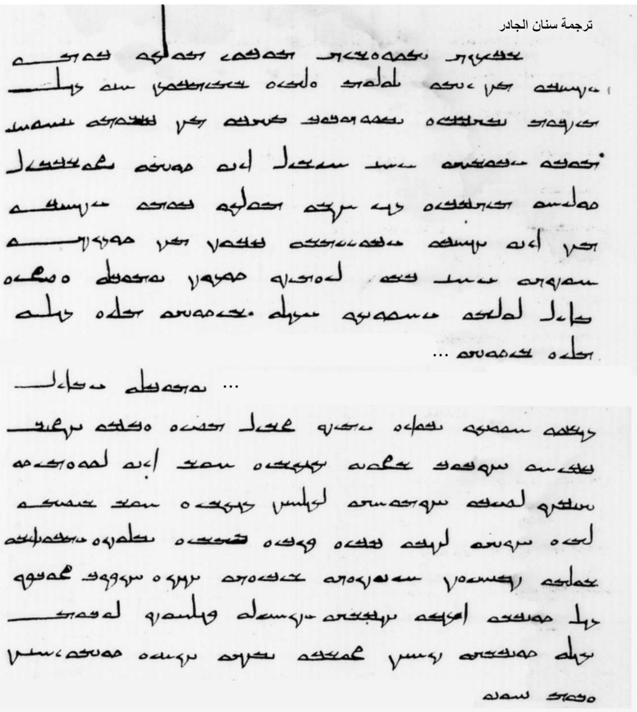

"مُبارَكٌ ومسَبَّحٌ أنت أيّها الربّ ملكَ النُّور السَّامي .. منذ الأزل وإلى أبَد الآبدينْ.
بكَلِمتك خُلِقَ كلّ شيء.
وخُلق أثري أمام ربّ العَظَمة.
أسمه هيبل زيوا, ويُدعى جبرائيل الرسول.
وبمشيئة ملك النور, ومن نوره وضيائه دعاني له .. وقال لي:
أذهب لعالم الظلام المملوء بالشر, كله مملوءٌ بالشر ..
.. وقال لي: أدحر الشرّ والأسرار التي تكوّن منها.
أبسط الأرض ونجّد السماء وضع الكواكب فيها.
أعط الشمسَ ضياءً والقمرَ إتقاناً والكواكبَ لمعاناً.
هَب الماءَ بهجةً والنارَ رفقةً.
كوّن الأثمار والأعناب والأشجار التي ستزدهر بالعالم.
ولتحيا الحيوانات والماشيّة والأسماك والطيور, وكلّ صِنف يكون من ذكرٍ وأنثى.
ولتكن لخدمة آدم وسُلالته.
وليكن ذكر وأنثى ولتكن أسمائهم آدم وحوّاء."

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, نُسخت من قبل الشيخ رام بختيار كنيانة قطانا عام 1560. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 1

المرفقات (ل)

ترجمة سنان الجادر

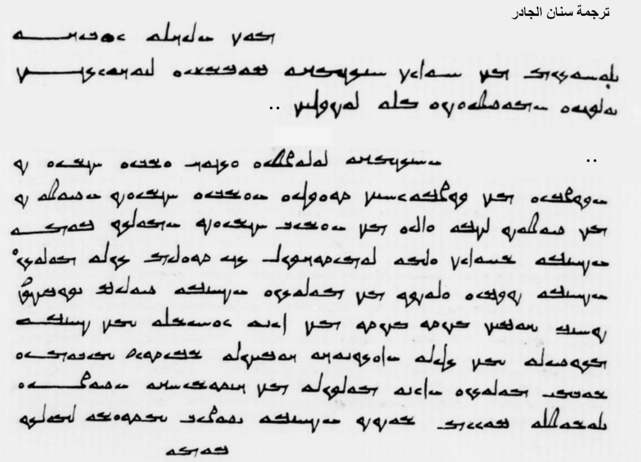

"الذي لا يمتلك المعرفة ولا الحِكمة, فقرّبوه منكم واعطوه من حكمتكم لكي لا يقع فريسة للغواية..
..
الذين لم يَسعوا لامتلاك المَعرفة ويَتركون أنفسهم لرغبات الجَسد فسوف يَسقطون.
والذين يَعملون بمشيئة الشّيطان فسوفَ يَذهبون مَعه للنار.
أمّا الذي يعمل بمشيئة مَلك النور السامي, فلن يسقط في هذا العالم.
وعندما يَحين أجَله فسوف يُرسل له ملك النور من ملائكة النور ليرفعوه.
فيُضيء سيماءه ويكون مُتقناً, وملائكة النور تُعطيه من ضيائها وتُلبسه من بريقها.
ويَضع أكليل النصر برأسه فيكون مُشابهاً لملائكة النور, ويُعطونه من تسابيحهم الممجّدة التي لا تَبطل.
فيقيم في سحابات النور يَسجد ويُسبّح لملك النور السامي."

من كتاب الكنزا ربا المندائيّة, نُسخت من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

المرفقات (م)

ترجمة سنان الجادر

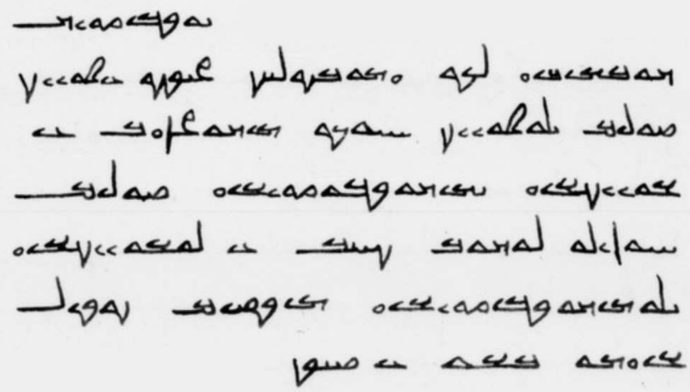

" أوضحتُ للترميدي وقُلتُ لهُم:
بأن الكَرمَة التي تَحمل الثِمار سوف ترتفع.
والتي لا تَحمل هُنا سوف تُقطع.
الذي يبحث ويتعلّم سيرتفع مُتطلعاً لموطن النور.
والذي لا يبحث ولا يتعلم سوف يسقُط في بحر النهاية العظيم (بحر سوف)"

من كتاب دراشا اد ملكي, نُسخت من قبل الشيخ آدم زهرن كنيانة قُطانا عام 1630. النُسخة الأصليّة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 8

المرفقات (ن)

ترجمة سنان الجادر

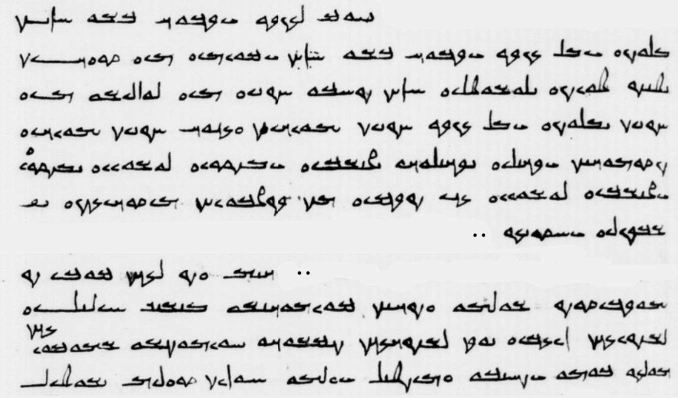

"أُنظروا الأشجار القائمة على ضِفّة الفُرات العظيم, وهيَ تَشربُ الماء وتُثمر الثِمار ولا تنتهي.
أُنظروا النَهر الجاف الذي جَفّت مياهه, فيَبست وماتت الأشجار التي على ضِفافه.
هكذا ستَتَيبّس وتَموت نشماثا العُزّاب والعازِبات, الرِجال الذينَ لا يُريدون النِساء, والنِساء اللواتي لا يردنَ الرِجال. فعندما يخرجون من أجسادهم سيسكنون بالغمامات المُعتمة..

..
ثُمّ نُناديكم ونوضّح لكم :
في العالم الذين أنتم موجودون به, أعملوا أعراساً لأبنائكم الذكور ولبناتكُم الإناث أيضاً. وآمنوا بربّكم مَلك النور السامي, ولأن هذا العالم يَنتهي ويَزول."

من كتاب الكنزا ربا المندائيَة, نُسخت من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليَة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4

المرفقات (س)

ترجمة سنان الجادر

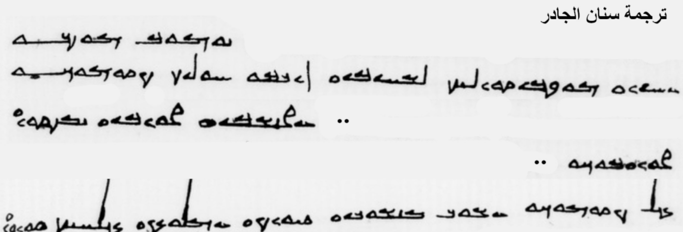

"تكلّم منداادهيي وأوضَحَ للمُختارين الصالحين..
أنَ نشماثا الرجال الزُناة والنساء الزانيات ..
وكذلك نشماثا الذين عَملوا أعمال الشياطين القبيحة ستفنى جميعها"

من كتاب الكنزا ربا المندائيَة, نُسخت من قبل الشيخ يهيى بهرام المندوي كنيانة إكوما عام 1694. النُسخة الأصليَة محفوظة في مكتبة باريس.
Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France. Département des Manuscrits. Sabéen 4